الرسالة ٢٥٠

أساسيات الفكر الصوتي
عند البلاغيين
قراءة في وظيفة التداخل المعرفي

د. مشتاق عباس معن
قسم القرآن الكريم - كلية التربية
جامعة بغداد - الجمهورية العراقية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية السابعة والعشرون - ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

المؤلف:

د. مشتاق عباس معن.

١ – دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها – كلية اللغات – جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م.

٢ – أستاذ مساعد بقسم القرآن الكريم – كلية التربية بابن رشد – جامعة بغداد – الجمهورية العراقية.

أولاً – الكتب:

١ – حركية الفضاء الزمني في جسد الرواية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠١م.

٢ – معجم مصطلحات فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٣ – المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤ – دروس في فقه اللغة العربية «الإطار النظري والإجرائي»، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣م.

٥ – تأصيل النص «قراءة في أيديولوجيا التناص»، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣م.

ثانياً – البحوث:

١ – قراءة في إرثنا الصوتي: إشكالية صفة التوسط وأصواتها: مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج٢، ع٤، شوال – ذو الحجة ١٤٢١هـ، يناير – مارس ٢٠٠١م.

٢ – أنماط صفة الغُنّة وقيمتها التمييزية: قراءة في المصطلح والمفهوم: مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج٤، ع٢، ربيع الآخر – جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٢م.

٣ – التوظيف البلاغي لعلم الأصوات: قراءة في وظيفة التداخل بين حقول المعرفة: في مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ع١٥، ٢٠٠٣مم.

المحتوى

الملخص

تحاول هذه الدراسة أن تعرض جهود البلاغيين في التأسيس للنظرية الصوتية العربية، من خلال التأسيس لعلم البلاغة – إن جاز لنا التعبير – من حيث تقعيد المباني الرئيسة لهيكل ذلك العلم.

ويستدعي الخوض في هذا الموضوع دراسات تفصيلية مطولة، لكن حجم الحولية لا يتسع لذلك؛ لذا وجدنا التصدي في هذه الدراسة لأساسيات الفكر الصوتي قاعدة أولى للكشف عن بقية التفصيلات الأخرى.

وقد توقفنا هنا عند مسألتين؛ **الأولى**: آلية التصويت، التي تتضمن المخارج والصفات وما يتلازم معها من موضوعات فرعية.

الثانية: عرضنا فيها مبنى بلاغياً رئيساً في تأسيس البلاغة العربية يرتكز في نهوضه على المستوى الصوتي، أسماه البلاغيون بـ «آلة البلاغة»، وأتممنا مفهوم هذا المصطلح بدراسة ومعجم لأعطاب تلك الآلة.

ويأتي هذا كله في إطار المباني الأساسية لتأسيس خانة معرفية تجمع بين علمي الأصوات والبلاغة؛ لتكون في نهاية المطاف ركيزة كشفية عن مستوى التفكير الصوتي الحي في ذهنية علماء العربية الأوائل، ممن أحسّ بأهمية ذلك التفكير في تقعيد القاعدة اللغوية وتحليل النصّ.

تقديم

مرّ الفكر البلاغي بأطوار تأسيسية مختلفة من جهة التقعيد والتصنيف والتقسيم، وتنوّعت معه دراسات المحدثين التي عملت على جسّ مفاصله المعرفية بمختلف مستوياته: الاصطلاحية والمفهومية، التنظيرية منها والإجرائية. وسبّب هذا التنوّع تبايناً في الحكم والطرح حيال الدرس المعروض للبحث مما كان صفة سلب عند بعضهم، في حين كان صفة إيجاب عند بعضهم الآخر.

كما أدّى هذا الأمر إلى غياب بعض المسائل والقضايا من دراسات هؤلاء، ومن أبرز تلك القضايا المفصلية في الفكر البلاغي بجميع أطواره: التفكير الصوتي وأثره في دراسة البلاغة العربية. وإهمال هذا الأمر يؤدي إلى فهم ناقص للدرس البلاغي العربي الذي حاول علماؤه – حالهم في ذلك حال علماء العربية – صيانة اللسان العربي من اللحن والفساد، وكذلك العمل على إيصال النص العربي بنحو مفهوم على مستوى البناء والدلالة.

ويتأتّى هذا النقص من خلال ترك أمور مهمة في التنظير والإجراء، لعل أهمها: المقدمة الصوتية التي تقدّم تصوّراً كاملاً لنظرة البلاغي للنطق العربي وما تفرزه من قضايا تحليلية للنص مثل الأصوات المحسنة له وغير المحسنة، والأبنية التي ينبغي للبلاغي تجنبها أو التي يجب عليه الأخذ بها، وذلك من خلال جسّ تأليفها الصوتي وائتلافها وتنافرها داخل السياق اللفظي للبنية.

وكذلك معرفة ما أسماه البلاغيون بـ (آلة البلاغة) الذي يعتمد عليه تصنيف: البلاغي إلى متكامل وسواه، من خلال كمال آلة النطق لديه أو نقصانها، وهي مسألة تأسيسية في الفكر البلاغي أهملها المحدثون، وحتى الذين تعرضوا لها لم يعطوها حقها من جهة الموضوع والمفهوم والحيز الكافي لاستيعاب درسها وتفكيك أجزائها الرئيسة.

ولعل ذلك التقصير في إيضاح هذه المفردة المهمة نابع من غياب التعرض للفكر الصوتي عند البلاغيين، وهو الأمر الذي غيّب المفهوم عند بعض الدارسين، وضبّبه عند بعضهم الآخر.

ولما وجدت الأمر على هذا القدر من الأهمية عمدت لدراسة هذا الجانب الذي غبن حقه عند الدارسين المحدثين، وكذلك لتفصيل الحديث عنه وإبراز أهم مفاصله المعرفية.

وقد بنيت الدراسة على قسمين، وعمدت إلى جعل المصادر وهوامش القسمين في نهاية القسم الثاني، إشارةً إلى اتحادهما.

وبعد، فهذا وسع جهدي، فإن أخطأت فأرجو العذر، وإن أصبت فهذا مبلغ كل ساع لخدمة لغة الكتاب العزيز، وله – سبحانه – على ذلك الحمد والمنّة.

المدخل

شكّل الفكر الصوتي أساس أغلب علوم العربية؛ ذلك أنّها تدرس أصلاً: اللغة والكلام، وكلاهما يتألف من أصوات بوصفها أصغر الوحدات المكوّنة لهما[١].

ولم تكن البلاغة خالية من الاعتماد على ذلك الأساس، بل جعله البلاغيون مرتكزاً لبنائها؛ لأن موضوع البلاغة - على حدّ تعبير ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) - الكلام، وهو - كما ذكرنا سالفاً - مؤلف من الأصوات[٢].

ولم يكن هذا الإدراك قابعاً في المخيّلة بل أنزله العلماء إلى حيّز التنفيذ والإجراء، وتحدّثوا عنه بأحاديث لعلّ أكثرها صراحة تلك المقولات الصوتية التي توزّعت بين مقدّمات وملحقات وإشارات مبثوثة في المتن[٣].

وكان ذلك الإدراك متبايناً من حقل معرفي إلى آخر ومن عالم إلى آخر من جهة العمق في التناول، ومساحة ذلك التناول من كتابه أو رسالته، ولكنّه كوّن - في أكثر الأحيان - الشخصية العلمية لبعض الدارسين في بعض الحقول، لتكون تلك الشخصية سمة تميّزه ممّا سواه من العلماء، فكان أنْ تشكّل من مجمل تلك الشخصيات للعلم الواحد علامة - أيضاً - عن مجمل الشخصيات المشكّلة للعلم الآخر، فكان الدرس الصوتي عند النحاة وعند الصرفيين وعند اللغويين إضافة إلى أصحابنا من البلاغيين[٤].

ولا نبالغ إن قلنا إنّ مجمل المقولات التي بثّها البلاغيون يمكن أنْ تمثّل درساً، له ما يميّزه من غيره لسببين:

١ - اختلاف غاية دراستهم الصوتية عن غاية من سواهم، وهو ما سنذكره في نهاية هذه الدراسة، إنْ شاء الله تعالى.

٢ - انفرادهم في كثير من المواضع بآراء خاصّة تميّزوا بطرحها.

فالاختلاف والانفراد يسمحان لنا بطرح ما قلناه سالفاً؛ لأنّهما من أسباب التميّز والإبداع.

ولتأكيد هذا الرأي نعرض لأقوال البلاغيين في دراسة الصوت منطلقين بذلك من خلفيتهم المشتركة مع بقية علوم العربية المتمثلة بالتفكير الصّوتي الذي شكّل إحدى الأوليات المهمّة المسهمة في تثبيت تلك العلوم من خلال عرض إفادتهم من المقدمة الصوتية ومضمون (آلة البلاغة).

وقدمت الدراسات اللسانية الحديثة أنواعاً كثيرة من مستويات التحليل في دراسة الصوت اللغوي، وكانت تلك المستويات المستند الرئيس في تأسيس علوم الصوت المختلفة. لكننا سنعرض في هذه الدراسة إلى بعض المستويات بحسب مقولات البلاغيين الصّوتية، خصّصنا الأول منهما بما يدخل ضمن مفهومات علم الأصوات النطقي Articulatory phonetics، في حين جمعنا موضوعات متفرقة في القسم الثاني توزّعت بين مفهومات علم الأصوات الوظيفي phonology، وعلم عيوب الكلام وأمراضه psychological phonetics.

القسم الأول
آلية التصويت

١ - الصّوت؛ مفهومه وماهيته:

انطلق أغلب البلاغيين من معالجة أولى نقاط هذا الدرس لتكون الأساس الذي يحدّد توجههم في البحث والدراسة.

إذ عرّفه أبو طاهر البغدادي (ت ٥١٧هـ) بأنه: «...آلة اللفظ والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر»(٥).

وهو يقارب بذلك ما يطرحه العالم اللغوي دو سوسير في تحديد آلية التصويت وإدراكه من خلال تقسيمه عملية التوصيل الكلامي إلى:

- صور صوتية.
- صور سمعية.

ويريد بالأول الرمز أو الكلمة الدالة على معنى من المعاني، ويقصد بالثاني ما ينطبع في الذهن من صور لشكل ذلك الرمز في الطبيعة، فلفظ (شجرة) له صورة صوتية تتمثل بنطقه، وصورة سمعية تتجسد بصورتها الطبيعية في الواقع المنطبعة في الذهن، فلفظ (الشجرة) يستجلب صورتها(٦).

وما يؤكد هذا التقارب تعريف (أبو طاهر البغدادي) للفكر بأنّه «مستثار الصوت»(٧)؛ أي أنّ النطق أحد مقوّمات استجلابه وتحريكه.

أمّا ابن سنان الخفاجي فتعرّض لماهيته، فالصوت عنده: «...معقول لأنّه يدرك، ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما يدرك، وهو عَرَض ليس بجسم، ولا صفة لجسم، والدليل على أنه ليس بجسم، أنه مدرك بحاسة السمع، والأجسام متماثلة، والإدراك إنما يتعلق بأخصّ صفات الذوات، فلو كان جسماً لكانت الأجسام جميعها مدركة بحاسة السمع، وفي علمنا ببطلان ذلك دليل على أن الصوت ليس بجسم»(٨).

وقد انطلق ابن سنان هنا من مرجعيته العَقَدِيَّة التي حاول إثباتها هنا بأسلوب المجادلة وسلوك المتكلّمين في معالجة «قضية الخلاف حول كلام الله... [فـ] ربما يكون ذلك الخلاف هو السبب في تسمية الجدل في الدين بعلم الكلام [وهي] زاوية خاصة كانت لها آثار مباشرة في توجيه البلاغة العربية، وهي قضية طبيعة كلام الله هل هو الحروف المقطعة أم المعاني النفسية حسب تصوّر الفريقين، بل وألفاظهما: المعتزلة والأشاعرة [وغيرهم]»(٩).

لذلك نجده يطيل الحديث عنه، ويفرعه من أجل الوصول إلى إثبات ما يعتقد به من مبادئ سنّتها له أصوله المذهبية(١٠).

٢ – آلية النطق:

يصف علماء الأصوات آلية النطق باندفاع كمية من الهواء من الرئتين في حالة الزفير وتعرض ذلك الهواء المندفع إلى إعاقات وفسحات فيتشكل من مجمل ذلك التنوع الصوتي؛ مخرجاً وصفةً(١١).

ولابدّ من مروره بثلاث مراحل ليصل إلى عملية الإدراك، وهي:

- التصويت.
- الوسط الناقل.
- استقباله بالسمع.

لذلك عُرّف بأنه: «أثر يحدث من اهتزاز الأجسام، وينتقل في وسط مادّي، ويدرك بحاسة السمع»(١٢).

وقد أدرك ابن سنان هذه الآلية ومراحل تحوّلها إلى الإدراك من خلال جملة النصوص التي توزّعت في مقدمته للكتّاب.

فآلية إصدار الصوت لديه تتّم بخروجه «...مستطيلاً ساذجاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً»(١٣)، وتختلف الأصوات باختلاف «...مقاطع الصوت، حتى شبه بعضهم

الحلق والفم بالناي(١٤)، لأن الصوت يخرج منه مستطيلاً ساذجاً، فإذا وضعت الأنامل على خروقه ووقعت المزاوجة بينها سمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سمعت الأصوات المختلفة التي هي حروف، ولهذا لا يوجد في صوت الحجر وغيره لأنه لا مقاطع فيه للصوت»(١٥).

ووضّح في حيّز آخر من كتابه مسألة الوسط الناقل وتأثّره بعوامل مختلفة تؤثر في عملية نقل الصّوت بسلامة، مازجاً حديثه عنه بحديثه عن مسألة استقبال الصوت بـ (حاسّة السّمع).

فـ «الأصوات تدرك بحاسّة السمع في محالّها، ولا تحتاج إلى انتقال محالّها وانتقالها، وكونها أعراضاً منع من انتقالها، وقد استدلّ على ذلك بأنها لو انتقلت لجاز أن تنتقل إلى بعض الحاضرين دون بعض، حتى يكون مع التساوي في القرب والسلامة يسمع الصوت... ولا يجوز البقاء على الأصوات»(١٦).

ففي هذا النصّ يؤكّد ابن سنان إدراكه المحاور الثلاثة التي تنقل الصوت من كونه مجرد هواء مندفع إلى لفظ مُدْرك، بل يؤكد إدراكه لعوائق الانتقال والمؤثرات المسهمة في حجب الصوت أو التقليل من وضوحه السّمعي، وقد حصره في عاملين:

١ – عامل المقام.

٢ – عامل اتجاه الريح.

وناقش المحدثون هذين العاملين بمصطلحات تجانس عصرهم ومسمياته ضمن مصطلح الترشيح والرنين وغير ذلك(١٧)، وقد قارب ابن سنان في توجّهه هذا من استنتاجات إحدى أحدث النظريات الصوتية التي سميت بـ (المراقبة السّمعية) لـ (أوربانتشيتش) مما يؤكّد حيوية ذهنه ومدى الجدّة التي حاكاها(١٨).

٣ – توليد الأصوات:

تطرق علماؤنا القدامى والدارسون المحدثون إلى عملية توليد الأصوات

والعوامل المُسهمة في إصدارها، وربطوا تلك المظاهر الآلية بمسميات اختلفت عند كثير منهم.

وقد ربط ابن سنان هذه العملية بمصطلحين اثنين هما:

- الاعتماد.
- المصاكّة.

وتردّد ذكرهما في أكثر من موضوع وبالخصوص في معرض ردّه على المعتزلة، منها: «فأما حروف الكلام في تماثلها واختلافها فالدلالة على ذلك ما قدّمناه من الإدراك لها، وبيانه في الحروف، فإن الراء تدرك ملتبسة بالراء ومخالفة للزاي، وقد بينا أن الإدراك يتناول أخص صفات الذات، ولا يجوز وجود الصوت إلّا في محلٍّ، أما من أثبت حاجة جميع الأعراض إلى المحالّ من حيث كان عَرَضاً، وأما من أجاز وجود بعض الأعراض في غير محل بدلالة أنه يتولد عن اعتماد الجسم ومصاكته لغيره، ولأنه يختلف حاله محله، فيتولد من الصوت في الطست خلاف ما يتولد في الحجر، فيقول: قد ثبت وجود بعض الأصوات متفقة في أنها لا توجب حالاً لمحل ولا جملة»[١٩].

وقوله: «ولا تقع الأصوات من فعل العباد إلّا متولدة، ويدلك على ذلك أيضاً تعذر إيجادها عليهم إلّا بتوسط الاعتماد والمصاكّة، ولأنها تقع بحسب ذلك، فيجب أن تكون مما لا يقع إلّا متولداً كالآلام»[٢٠].

٤ – التمييز بين الصّوت والحرف:

لقد رادف أكثر علمائنا القدامى – إن لم يكن جميعهم – بين مصطلح الصوت ونظيره الحرف، وبادلوا مواقعهما في النصوص التي نثروها في كتبهم ورسائلهم[٢١]، لكن المحدثين ميزوا بين الصوت والحرف من خلال:

- جعل الصوت الرمز الكلامي للملفوظ.
- جعل الحرف الرمز الكلامي للمكتوب.

أي أنّ الصوت ألصق بالكلام والحرف ألصق بالكتابة، وقد وجدتُ هذا الإحساس واضحاً عند ابن سنان حينما أراد التمييز بين (الحكاية والمحكى): فـ«الكلام هو الصوت الواقع على بعض الوجوه بما لا فائدة في إعادته، وأمّا الصوت فلا شبهة في أنّه غير باقٍ...، وإذا كان الكلام هو الصوت – لا يجوز عليه البقاء – فكيف يقال إنّه يوجد في قراءة كل قارئ ومع الكتابة وغيرها؟ ويدل أيضاً على أنّ الكتابة لا يوجد معها كلام وإنما هي أمارات للحروف بالمواضعة أن الاستفادة بالكتابة كالاستفادة بعقدة الأصابع والإشارة وغيرهما من الأفعال التي تقع المواضعة عليها، فلو كان لابدّ من الكلام يوجد مع الكتاب لأجل الفائدة الحاصلة بها لوجب ذلك في جميع ما ذكرناه»[٢٢].

مخارج الأصوات

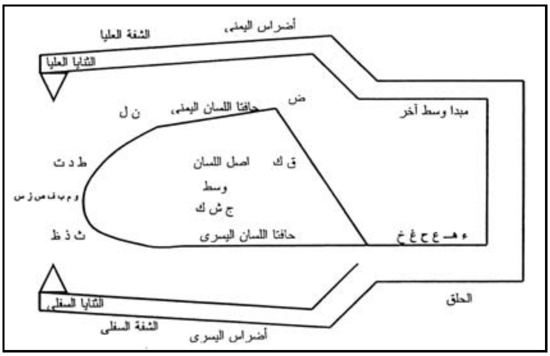
من مكملات التفكير الصوتي، معرفة مواضع إصدار الأصوات والسمات التي تتسم بها لتقسم على مجموعات أو لتنماز من غيرها من الصفات الخاصّة، وقد درج الباحثون على وسم هذا المبحث من الدرس الصوتي بـ (المخارج والصفات).

وسنعرض في هذا القسم من الدراسة إلى الجانب الأول من جانبي التشكيل الصوتي، وهو (المخارج).

إذ لم يكن إسهام البلاغيين في هذا المبحث قليل الشأن بل كانت لهم إضافات جيّدة، ومن تلك الإضافات في جانب المخرج، الرسم التوضيحي الذي يعدّ جزءاً مهمّاً من الوظيفة العلمية والتعليمية، فالبلاغي السّكاكي (ت ٦٢٦هـ) أول من وضع رسماً تقريبياً للجهاز النطقي من علماء العربية، وتعدّ هذه الالتفاتة إسهاماً جليلاً في الدرس العربي؛ إذ كان للسانيين العرب المسلمين [أثرهم] في الدرس اللغوي، كما كان لهم فضل الريادة في كثير من الآراء في مجال تصنيف الأصوات ووصفها وتحديد مخارجها نظرياً عند الخليل وسيبويه وابن جني، وعملياً عند السكاكي الذي وضع أول رسم تشريحي يبيّن مخارج الأصوات العربية – فيما نعلم – وهذا أمر لم تعرفه الدراسة الصوتية المعاصرة إلّا حديثاً[٢٣].

ونقل هذا التصور على النحو الآتي:

مخارج الحروف عند السكاكي



وأشار السكاكي إلى أنّ النطق السّليم الصحيح لهذه الأصوات يعتمد على (الطبع والذوق) السّليمين وإلّا اختلفت وجهات نطق الأصوات وتباينت، فعنده: «أنّ الحكم في أنواعها ومخارجها على ما يجده كلّ أحد مستقيم الطبع، سليم الذوق، إذا راجع نفسه واعتبرها كما كان بخلاف الغير لا مكان التفاوت في الآلات»[٢٤].

وهذه إشارة إلى إدراكه أن التنوع يصيب الأصوات، إن اختلفت طرائق أدائها حتى إن كان ذلك الخلاف يسيراً، وهي تلميحات للتنوّعات الصوتية المسماة بـ (الصورة الصوتية أو التنوعات الصوتية)[٢٥] في الدرس الصوتي الحديث، والتي تزيد وضوحاً عند مَنْ يتحدث عن الأصوات المستحسنة والأصوات المستقبحة.

وتناول أكثر البلاغيين مبحث (مخارج الأصوات) بالحديث والبحث، واختلفت آلياتهم في ذلك بين التفصيل والإجمال، لذلك آثرنا من بينها جانب التفصيل على الإجمال لتحقيق مزيد من الإيضاح لرؤاهم.

وتحدّد جانب التفصيل بأربعة بلاغيين هم: ابن سنان والرازي (ت ٦٠٦هـ) والسكاكي وميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ).

ولبيان مدى تبعيتهم للقدامى ومقاربة الدرس الحديث، وكذلك معرفة التقارب بين أقوالهم هم أنفسهم، أدرجنا ترتيب الأصوات عندهم في جدول، أضفنا إليه ترتيب سيبويه (ت ١٨٠هـ) بوصفه العمدة في تبعية اللاحقين له من علماء العربية، ووضعنا ترتيب د. كمال محمد بشر الحديث مثالاً عن الترتيب الحديث.

وقبل الدخول في بيان الأمر الذي أشرنا إليه في الفقرة السابقة، لا بد من التوقف عند قضية تصنيفية مهمة، تخدم البحث، وتعرفنا عن كثب على مستوى الخلاف، ومفاد تلك القضية:

إنّ القدماء – ولا سيما المعجميون منهم – فرّقوا بين الحيز والمخرج، وكان رائدهم في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)؛ فقد جعل لكل حيز جملة مخارج تصدر منها الأصوات المتقاربة[٢٦].

وسنلاحظ أن الخلاف الذي وقع بين القدماء، هو خلاف ينتسب إلى الاختلاف في ترتيب الأصوات ذات المخارج المتقاربة، المنتمية إلى حيز صوتي واحد.

لكننا درجنا على حصر تلك الخلافات؛ لبيان مشاركة البلاغيين في تأسيس التراث المعرفي لعلم الأصوات، فالمعروف أن معظم تراث الأمم المعرفي، يأتي من الخلاف في أقوال عقلائهم والباحثين منهم.

كمال محمد بشر	سيبويه[٢٧]	ابن سنان	الرازي	السكاكي	البحراني
همزة	همزة	همزة	همزة	همزة	همزة
هـ	هـ	ا	هـ	ا	ا
ح	ا	هـ	ا	هـ	هـ
ع	ع	ع	ع	ع	ع
ق	ح	ح	ح	ح	ح
و	غ	غ	غ	غ	غ
ك	خ	خ	خ	خ	خ
غ	ق	ق	ق	ق	ق
خ	ك	ك	ك	ك	ك
ي	ج	ج	ج	ج	ج
ش	ش	ش	ش	ش	ش
ج	ي	ي	ي	ي	ي
ص	ض	ض	ض	ض	ض
س	ل	ل	ل	ل	ل
ز	ن	ن	ن	ن	ن
ر	ر	ر	ر	ر	ر
ن	ط	ط	ط	ط	ط

كمال محمد بشر	سيبويه	ابن سنان	الرازي	السكاكي	البحراني
ل	د	ت	د	د	ت
ط	ت	د	ت	ت	د
ض	ز	ص	ز	ص	ز
د	س	ز	س	ز	س
ت	ص	س	ص	س	ص
ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
ذ	ذ	ث	ذ	ذ	ث
ث	ث	ذ	ث	ث	ذ
ف	ف	ف	ف	ف	ف
م	ب	ب	ب	ب	ب
ب	م	م	م	م	م
و	و	و	و	و	و
	النون	النون	النون	النون	النون
علم	الكتاب ٤/	سر	نهاية	مفتاح	أصول

ومن خلال تتبع الجدول لاحظنا الآتي:

١ - أن مذهب التبعية التي اتُّهم بها البلاغيون - وخصوصاً سيبويه - لم تكن دقيقة؛ إذ نلاحظ من خلال الموازنة أن الذي تابع سيبويه منهم الرازي فقط. لذلك فإن د. عادل خلف[٢٨] جانب الصواب حينما نصّ على متابعة السكاكي لسيبويه، بدلالة وجود بعض المخالفات بين الترتيبين.

٢ - لم يأتِ ترتيبهم للأصوات على وتيرة واحدة، بل حدثت هناك خلافات بينهم - وإن انتسبت إلى مجال الخلاف في ترتيب الأصوات ذات المخارج المتقاربة، المنتمية إلى حيز صوتي واحد - ، وبمراجعة تلك الخلافات الجزئية أمكننا تقسيمهم على فريقين، - وإن تبادلوا المواقع في أكثر الأحيان - ، ويمكن إجمال تلك الخلافات بالآتي:

الأصوات المختلفة فيها	الفريق الأول		الفريق الثاني	
	الترتيب	العالم	الترتيب	العالم
أصوات الحلق	همزة ا هـ	ابن سنان السكاكي البحراني	همزة هـ ا	الرازي
أصوات طرف اللسان وأصول الثنايا العليا	ط ت د	ابن سنان البحراني	ط د ت	الرازي السكاكي
أصوات ما بين الثنايا وطرف اللسان	ص ز س	ابن سنان السّكاكي	ز س ص	الرازي البحراني
أصوات ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا	ظ ث ذ	ابن سنان البحراني	ظ ذ ث	الرازي السّكاكي

٣ – أن تتبع خلافهم في الترتيب جاء لغايتين:

– بيان حيوية أذهانهم في الدرس؛لأنّ الاختلاف أمر حيوي؛ إذ لاحظناهم خالفوا السابقين وكذلك اختلفوا فيما بينهم، مما يؤكّد أنّ بحثهم للأصوات لا يقلّ أهمية عن دراسة من سبقهم.

– معرفة أيّهما أقرب إلى الدرس الحديث من خلال تتبع الخلاف، وهو ما سيوضح في النقطة الآتية.

٤ – طابق قولهم الدرس الحديث في ترتيب الأصوات في ثلاثة مواضع، هي:

– اتفاقهم على جعل الهمزة أعمق الأصوات على الرغم من خلافهم في (الألف والهاء)، بوصف الجميع من أصوات الحلق بحسب اصطلاحهم.

– فـ «الحكم بأن الهمزة هي أوّل الأصوات العربية مخرجاً سليم ولا غبار عليه»(٢٩).

- ترتيب أصوات: ط/و/د/و/ت/؛ إذ رتّبها المحدثون ترتيب الرازي والسّكاكي.
- ترتيب أصوات: ظ/و/ذ/و/ث/؛ إذ رتّبها المحدثون ترتيب الرازي والسكاكي.

مما يؤكد أنّ ترتيب الرازي والسّكاكي أقرب إلى ترتيب المحدثين من ترتيب ابن سنان والبحراني.

وقد اعتمد ابن سنان والرازي والسّكاكي والبحراني على التقسيم التفصيلي لمخارج الأصوات، فجعلوها ستة عشر مخرجاً[٣٠]، في حين اعتمد العلوي (ت٧٤٩هـ) على التقسيم الإجمالي فجعلها على ثلاث مجموعات مخرجية:

- أصوات الحلق.
- الأصوات الشفهية.
- أصوات اللسان[٣١].

وناقش ابن سنان بعض الآراء التي طرحت عند سابقيه وخصوصاً بعض مقولات النحاة واللغويين، ومن ذلك:

أ – مخالفة المبرد:

اختلف القول في حقيقة الهمزة وعدّها ضمن الألفبائية الصوتية العربية، ومن اشتهر في إنكاره لها (المبرد: ت ٢٨٦هـ)[٣٢].

وعرض ابن سنان رأي المبرد وحاول مناقشته فيه، إذ «كان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد لا يعتدّ بالهمزة، ويجعل الحروف ثمانية وعشرين حرفاً، وقوله هذا عند النحويين مرفوض، واعتلاله بأن الهمزة لا صورة لها مستكره غير مُرْضٍ؛ لأن الاعتبار باللفظ دون الخط وهي ثابتة فيه، ولو أن العرب لا خط لها كغيرها من الأمم لم يمنع ذلك من الاعتداد بجميع هذه الحروف المذكورة»[٣٣].

وتوجه ابن سنان في ردّ المبرد توجهاً حصيفاً، إذ نجده يهتم بالنطق لا بالكتابة وهو دأب البلاغيين في التحليل والتفصيل؛ لأنهم يستندون في المفاضلة – في أكثر أقوالهم – إلى المشافهة[٣٤].

ب – ترجيح رأي سيبويه:

كان دأب ابن سنان المجادلة للاختلاف، لكنه في موضع آخر من كتابه اكتفى من حلّ الخلاف بالترجيح.

فمن المعروف أنّ سيبويه هو الذي أضاف (الألف) لمخرج أقصى الحلق بقوله: «فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف»[٣٥].

ودرج على هذه الإضافة، وهذا الترتيب لدى معظم الذين خلفوه، لكن الاختلاف حالة حيوية في البحث العلمي، لذلك وجدنا من شذّ عن هذا الإجماع، ومنهم أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت ٢١٠هـ)، وعرض ابن سنان لهذا الخلاف ورجح رأي سيبويه بنصّ جاء فيه: «ومخارج هذه الحروف ستة عشر مخرجاً ثلاثة في الحلق: فأولها من أقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء، وهذا على ترتيب سيبويه، وزعم أبو الحسن الأخفش أن الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها»[٣٦].

وترجيح ابن سنان يدعمه الدرس الصوتي الحديث، لأن الصوت لا يخرج من موضع واحد، وإنما لكل صوت موضع[٣٧].

ومن خلال ما مرّ، نجد أنّ مبحث (مخارج الأصوات) بحث حيّ في الدرس البلاغي، وله من الشأن ما لغيره من دراسات الأقدمين.

صفات الأصوات

لا يكون الصّوت صوتاً إلّا بوجود المخرج والصفة، وهو أمر تنبّه له القدامى من علماء العربية، وأكده البلاغيون في بحوثهم، لذلك نجد أنّ حديثهم عن مخارج الأصوات أردف بحديث عن الصفات.

وتباينت كتاباتهم عنها بين التفصيل والإجمال، والتبعية والإبداع ولو على مستوى التسمية والاصطلاح.

وتحدّثوا عن جملة من صفات الأصوات، فالجهر والهمس من الصفات الصّوتية العامة التي شغلت حيّزاً من كلام البلاغيين عن الأصوات العربية، وقد حاول بعضهم مخالفة السائد في إعطاء الأسبقية في الحديث.

فقد دأب علماء العربية على تقديم الحديث عن الأصوات المهموسة، ويلخصون الكلام عن المجهورة بقولهم: «وماعدا هذه الأصوات فمجهور». ولعل هذا الدأب سببه أنّ عدد المهموس أقلّ من المجهور فيذكر ما قلّ وما سواه يستثنى من المجموع الكلّي للأصوات، لكنّ السّكاكي حاول كسر هذه العادة، وبدأ الحديث عن الأصوات المجهورة، واستثنى من المجموع الكلّي للأصوات ما هُمِس منها.

وحاول أيضاً جمع تلك الأصوات بعبارة، جرياً على عادة العرب في جمع أصوات المجموعات بعبارات خاصة ليسهل على المتعلم حفظها، فجمعها بعبارة: «قدك أترجم ونطايب»، لكنه لم يخالف السابقين في عدّتها[٣٨].

وذكر ابن سنان الأصوات المهموسة والمجهورة وعرفها تعريفاً يماثل ما أدلى به السّابقون من دارسي العربية، فـ «الجهر في الحرف [عنده] أنه أشبع الاعتماد عليه في موضعه ومنع النّفس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد ويجرى الصّوت، ومعنى الهمس فيه أن يضعف الاعتماد في الصوت حتى يجرى معه النّفس، والحروف المهموسة عشرة أحرف: وهي الهاء والحاء والخاء والكاف والسين والصاد

والتاء والشين والثاء والفاء، ويجمعها في اللفظ (ستشحثك خصفه)، وجمعت أيضاً (سكت فحثه شخص)، وما سوى هذه الحروف هو المجهور»[٣٩].

فمعايير (النَّفس والإشباع والاعتماد) هي عينها التي تردّدت في كتب السّابقين، ولم يندّ عنهم إلّا من ندر حسّه[٤٠]، لكن ابن سنان اعتمد على معيار (النفس) منها فقط. فـ «الجهر انحصار النّفس في مخرج الحرف، والهمس جري ذلك فيه»[٤١].

وقد توقف معظم الدارسين المحدثين عند قضية حدود القدماء لمعظم المصطلحات الصوتية، ولعل أهمها توقفهم عند حدّ القدماء لصفتي "الجهر والهمس"، وحاولوا جاهدين بيان الفروق المفهومية بين حدّ القدماء وتعريف المحدثين[٤٢].

أمّا قسمة الأصوات من حيث الشدة والرخاوة، فجاءت على التقسيم الثلاثي المعهود:

- الشديدة.
- الرخوة.
- المتوسطة.

وجاء حديث البلاغيين عنها على ثلاثة مستويات:

المستوى الاتباعي:

ومثّله ابن سنان، إذ لم يخالف سابقيه في الحدّ والعدّ، فقد قال في كلامه عن هذه القسمة: «ومنها أيضاً الرخو، والشديد، والذي بين الشديد والرخو، فالشديد الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهي ثمانية أحرف: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء، ويجمعها في اللفظ (أجدك قطبت)، والتي بين الشديد والرخو ثمانية أحرف، وهي: الألف والعين والراء اللام والياء والنون والميم والواو، ويجمعها في اللفظ (لم يروعنا)، والرخوة الحروف التي لا تمنع الصّوت أن يجري فيها، وهي ما سوى هذين القسمين المذكورين»[٤٣].

المستوى الاتباعي المضطرب:

ومثّله الدسوقي في شرحه لتلخيص القزويني، إذ جاء حديثه عن هذه القسمة

مضطرباً نوعاً ما، وبالخصوص في التدخل في حدود هذه الصفة وصفتي الجهر والهمس، وكذلك إهماله لذكر الواو في عدّة الأصوات المتوسطة من دون تعليل(٤٤).

المستوى غير الاتباعي:

حاول السّكاكي في مقدمته الصّوتية أن يحدّث في بعض بحثه، إذ حاول تغيير الاصطلاح على صفة (التوسط) بـ (المعتدلة)، إشارة إلى الاختصار في المصطلح وآلية تلك الصفة في الانحصار، على حدّ تعبيره.

كما تنبّه إلى العلاقة بين صفة الشدّة وصفة القلقلة، وذكر ابن سنان صفة الذلاقة، وجاء حديثه كالعادة تابعاً لسابقيه، وقابلها بالأصوات المصمتة(٤٥)، لكن العلوي ذكرها ناقصة العدد، ولم يبين علّة إهماله لثلاثة أصوات منها، فالقدامى يؤكدون أنها ستة أصوات: /ل/و/ر/و/ن/و/ف/و/ب/و/م/، لكنه ذكر ثلاثة منها فقط(/ر/،/ل/،/ن/)(٤٦).

وعلى الرّغم من إهماله لثلاثة أصوات منها، ذكر أهميتها في صياغة الألفاظ وسمتها النطقية(٤٧).

وذكر البحراني أصوات الذلاقة كاملة، وقسّمها قسمين من حيث أصلها؛ فـ «الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان، وذلق اللسان: تحديد طرفه كذلق السّنان، قال: ولا ينطق طرف شَباة اللسان إلاّ بثلاثة أحرف هي: الراء، واللام، والنون، فلذلك تسمى هذه الحروف: حروف الذلاقة. ويلحق بها الحروف الشفهية، وهي ثلاثة: الفاء والباء، والميم»(٤٨).

ولعل هذه القسمة هي التي سوّغت للعلوي ترك ما ليس بذلقي أصلاً، بدلالة نصّ البحراني، وكذلك عزل العلوي ما تركه من أصوات الذلاقة بمخرج الشفة وهو أصلها(٤٩).

أمّا الأصوات المنطبقة ومقابلاتها المنفتحة، فاصطلح عليها ابن سنان بـ(المنطبقة والمنفتحة، في حين وسمها السكاكي بـ (المطبقة والمنفتحة)، وعرفها الأول بقوله: «ومنها أيضاً المنطبقة والمنفتحة، [و]معنى الإطباق أن يرفع المتلفظ بهذه الحروف لسانه ينطبق

بها الحنك الأعلى فينحصر الصوت بين اللسان والحنك، وهي أربعة أحرف: الصاد، والضاد والطاء والظاء، وما سواها من الحروف مفتوح غير منطبق»[٥٠].

وذكر ابن سنان صفتي الاستعلاء والانخفاض، وعرفها بنصّ جاء فيه: «ومن الحروف أيضاً حروف الاستعلاء وحروف الانخفاض، ومعنى الاستعلاء أن تصعد في الحنك الأعلى، وهي سبعة أحرف: الخاء والغين والقاف والضاد والظاء والصاد والطاء، وما سوى ذلك من الحروف منخفض»[٥١].

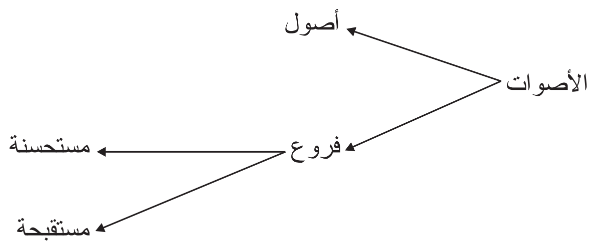
ولم يخالف السّكاكي ابن سنان في تعريفه لمفهوم هذين المصطلحين وفي تعداده للأصوات المندرجة تحتهما[٥٢].

الأصوات المستحسنة والمستقبحة

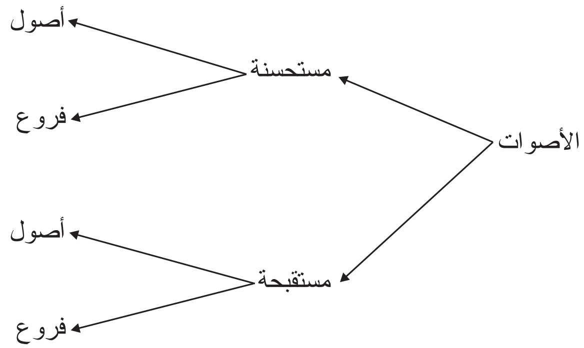
تحدث علماء العربية من نحاة ولغويين ومن غير هاتين الطائفتين عن قسمة الأصوات إلى أصوات أصول وفروع، وجعلوا الثانية قسمين أيضاً، اصطلحوا على الأول منهما بالمستحسنة وعلى الثانية بالمستقبحة أو ما شابه ذلك، ووضعوا معياراً للتمييز بينهما، واختلفوا في عدّتها وبعض تسمياتها[٥٣].

أما البلاغيون فجعلوا هذا المعيار موزّعاً على القسمة الأساسية، فكانت لديهم الأصوات مقسومة على مستحسنة ومستقبحة، وهذه القسمة توزّع على صنفين: الأصل والفرع.

أ - علماء العربية من غير البلاغيين:



ب - علماء العربية من البلاغيين:



وكان معيار البلاغيين في هذه القسمة على مستويين:

(أ) – اتباعي:

وهو معيار السابقين من علماء العربية في التمييز بين الأصوات المستحسنة والمستقبحة حال كون الصوت فرعاً وليس أصلاً.

(ب) – إبداعي:

وهو معيار وضعوه للتمييز بين الأصوات التي تسهم في تحسين البنية اللفظية وتجعلها سهلة بعيدة عن التنافر وقبح النغم(٥٤).

ولم يكن معيارهم الثاني واضحاً بنحو بيّن، بل لفّه شيء من الغموض، ولكنّي من خلال تتبع نصوص البلاغيين وجدتهم يؤكدون شيئين يمكن عدّهما معياراً لقسمتهم تلك:

١ – رونق الصوت وإسهامه في تحسين النغم، سواء كان بناء اللفظ مسبوكاً في النثر أم النظم(٥٥).

٢ – إذا كان اللفظ المراد معرفة سمات أصواته المؤلفة لبنيته مسبوكاً في بناء شعري، اشترطوا في كون قافيته أن تكون سلسة سهلة المخرج(٥٦).

ويمكن جمع الأصوات الأصول المستحسنة بالآتي:

/ب/ /ف/ /م/ /و/ /ر/ /س/ /د/ /ن/ /ل/ /ع/ /ق/ /هـ/(٥٧).

وأوضح العلوي سبب استحسان هذه الأصوات في بناء الألفاظ ونسيج تراكيبها، بعدة نصوص كقوله:

– «فالأحرف الشفهية، وهي: الباء والفاء والميم والواو... أخفّ الأحرف موقعاً، وألذها سماعاً، وأسلسها جرياً على الألسنة»(٥٨).

– و«حروف الذلاقة منها وهي الراء واللام والنون، لأن مخرجها من ذولق اللسان وهو طرفه، ويكثر استعمالها في الكلام، وما ذاك إلّا من أجل خفة مجراها وطيب نغمتها، وسهولتها على النطق، ولهذا فإنك لا ترى كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة إلا على جهة الندرة والقلّة وجدت في كلام العرب كالعسجد،

اسم للذهب، والعذيوط، وهو الذي يحدث على فراشه، وغيرهما، فدخول هذه الأحرف في الأبنية من أجل ترقيقها وتلطيفها، وحسنها على المسموع»(٥٩).

- و«لهذا فإنك تجد (العين) أنصح الحروف جرساً وألذّها سماعاً و(القاف) مختصّة بالوضوح، والمقارنة وشدة الجهر، فإذا وقعا في كلمة حسسناها لما فيها من تلك المزية»(٦٠).

وبيّن الرازي فضيلة صوت الهاء في تخفيف النطق وتحسين البناء الذي ترد فيه لأنها: «تحتمل في البناء للينها وهشاشتها، إنما هي نفس لا اعتياص فيه»(٦١).

وعلّل البحراني حسن الدال والسين في النطق والتأليف بلين الأول وتوسط الثاني بين صفتي الصاد والزاي(٦٢).

ويمكن جمع الأصوات المستقبحة في التأليف عند البلاغيين بالآتي:

/ث/ /ذ/ /خ/ /ش/ /ص/ /ط/ /ظ/ /غ/(٦٣).

واستقبح استعمال هذه الأصوات – خاصة – في قافية الأشعار، وعلّل ذلك ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) بقوله: «واعلم أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنبا ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين؛ فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الأحرف المشار إليها، والناظم في ذلك أشّد ملامة؛ لأنه يتعرض لأن ينظم قصيدة ذات أبيات متعدّدة فيأتي في أكثرها بالبشع الكريه الذي يمجّه السمع لعدم استعماله، كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائية التي مطلعها:

قف بالطلول الدارسات عُلاثا

وكما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته الشينية التي مطلعها:

مبيتي من دمشق على فراش

وكما فعل ابن هانئ المغربي في قصيدته الخائية التي مطلعها:

سرى وجناح الليل أقتم أفتخ

والناظم لا يعاب إذا لم ينظم هذه الأحرف في شعره، بل يعاب إذا نظمها

وجاءت كريهة مستبشعة، وأما الناثر فإنه أقرب حالاً من الناظم، لأنّ غاية ما يأتي به سجعتان أو ثلاثة أو أربع على حرف من هذه الأحرف»[٦٤]، وقد علل ذلك الاستبشاع والابتعاد عن الفصاحة بأن تلك الألفاظ «تعذب في الفم، ولا تلذ في السمع، والذي هو بهذه الصفة فيها فإنما هو قليل جداً، ولا يصاغ منه إلّا مقاطيع أبيات من الشعر، وأما القصائد المقصّدة فلا تصاغ منه، وإن صيغت جاء أكثرها بشعاً كريهاً، على أنّ هذه الحروف متفاوتة في كراهة الاستعمال، وأشدها كراهية أربعة أحرف، وهي الخاء والصاد والظاء والغين، وأما الثاء والذال والشين والطاء فإن الأمر فيهن أقرب حالاً، وهذا موضع ينبغي لصاحب الصناعة أن ينعم نظره فيه»[٦٥].

وذهب قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧هـ)، قبل ابن الأثير، إلى هذا التوجه بنصّه على ضرورة العناية بالقافية في فصل (نعت القوافي)؛ إذ نصح بـ «أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج»[٦٦].

وأنكر الرازي أن يكون العيب في الصوت نفسه، بل العيب في موقعه من التأليف، ولولا ذاك لاستقبح الصوت أصلاً في النطق قبل التأليف؛ لذلك اعترض على من يمدحون الألفاظ ويذمونها بسبب أصواتها، إذ «قد يمدحون اللفظ أيضاً، فيقولون: لفظ متمكّن غير قلق ولا ناب به موضعه وأنه جيّد السّبك، صحيح الطابع، وأنه ليس فيه فصل عن معناه، وأنّ من حقّ اللفظ أن يكون طبقاً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وكقول من وصف رجلاً من البلغاء بأنه كانت الألفاظ قوالب لمعانيه، وقد يذمونه بأنه معقّد، وأنه لتعقيده استهلك المعنى والقلق ليس آحاد الحروف، بل الكلمة. وهي بمجموعها غير موجودة؛ لأن الحرف الأول ما لم يعدم لا يوجد الآخر، وبتقدير وجود الكلمة بتمامها يمتنع وصفها بهما، لأنّ الشيء إنّما يتمكن ويقلق في مكانه الذي يوجد فيه، ومكان الحروف هو الحلق والفم واللسان، فلو اتصفت بالتمكن والقلق لكانا في أماكن الحروف من الحلق واللسان والفم»[٦٧].

وفي حقيقة الأمر أنّ رأي الرازي وسابقه عبد القاهر الجرجاني أقرب إلى الصواب؛ لأن مسألة الحكم على الصوت بمفرده مسألة فيها نظر خصوصاً إذا كان

من الأصوات الأصول، فلولا تميّزها في الأداء لما اختارها الناطق الأول، واستعان بها في تواصله الكلامي، وأكّد العلوي هذه المسألة بنص فيه:«وما من واحد من الأحرف السبعة والعشرين العربية إلّا وهو مختص بنوع فضيلة لكنها متفاوتة في الصفاء والرقة.. وهكذا كل حرف منها له مزية لا يشاركه فيها غيره»[٦٨].

لذلك اختارت العربية هذه الأصوات وألفتها في استعمالها حالها في ذلك حال اختيار الألفاظ واستعمالها في تداولها فـ «الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن، وأعني بالظاهر البيّن أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم، وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها، وذلك أن أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسبروا وقسموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه، فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها، فالفصيح إذاً من الألفاظ هو الحسن»[٦٩].

لذلك استقبح ابن سنان أن يتألف اللفظ من أصوات الحلق فقط لأنّ لها: «مزية في القبح إذا كان التأليف منها فقط[٧٠]، وأنت تدرك هذا وتستقبحه كما يقبح عندك بعض الأمزجة من الألوان، وبعض النغم من الأصوات»[٧١].

وكذلك استنكر البلاغيون اجتماع بعض الأصوات في بناء واحد، فـ «قد بان من حسن تصرف واضع اللغة امتناعه من الجمع بين العين والحاء...، وبين الذال المعجمة والزاي، وما ذاك إلّا لما يحصل من تأليف هذه البشاعة والثقل على الألسنة في النطق... فحصل من مجموع ما ذكرناه أن مستند الإعجاب في حسن تأليف اللفظة من هذه الأحرف العربية، إنما هو الذوق السليم، والطبع المستقيم»[٧٢].

واستنكر القزويني جمع الـ(/ح/ و/ هـ/) في بناء واحد، لكن شرّاح تلخيصه وجّهوا هذا الاستنكار وأضافوا إليه قيد التكرار[٧٣].

وفي حقيقة الأمر، إن جعل الأصوات على مستويين من التلقي بوصف

بعضها بأنها ذات وقع حسن وبعضها الآخر بأنها ذات وقع قبيح يعود – إن أردنا القول بها – إلى أمرين هما:

- الموقع.
- الذوق.

فجميع الأصوات إذا لم تركّب في سياق لفظي لا يمكن الحكم عليها بالقبح أو الحسن، ففي حال كونها مفردة من دون تركيب تتساوى قيمتها في النطق، خصوصاً إذا كانت الأصوات من الأصوات الأصول، ولولا تميزها في الأداء لما اختارها الناطق الأول واستعان بها في تواصله الكلامي، وأكد العلوي هذه المسألة بنص أشرنا إليه سالفاً(٧٤).

وعلى هذا الأساس أنكر الرازي أن يكون العيب في الصوت نفسه بل العيب في موقعه من التأليف، ولولا ذاك لاستقبح الصوت أصلاً في النطق قبل التأليف؛ لذلك اعترض على من يمدحون الألفاظ ويذمونها(٧٥).

واستنكار البلاغيين لجملة من الصياغات اللفظية السابقة قام على أساس (الذوق)، فلكل بيئة لغوية ذوق يباين ذوق البيئات الأخرى – ولا يشذ عن ذلك إلّا نادراً – ، سواء أكانت تلك البيئات من أصول لغوية مختلفة – كالعربية والهندية – أم من أصل لغوي واحد، كاللهجات الفصيحة للعربية.

ويعود تباين الأذواق عند الناطقين بلغاتهم إلى أسباب مختلفة؛ فمنها اختلاف البيئة الطبيعية التي يسكنون فيها؛ كاختلاف بيئة نجد عن الحجاز مما ولد لديهم اختلافاً في تحقيق الهمز وتركه، وكذلك، القرب والبعد من بيئات لغوية مخالفة للغتهم؛ كمجاورة قبائل العراق الشرقية لبلاد فارس وقبائل الشام الشمالية لبلاد الروم، مما ولّد في ألسنة تلك القبائل عادات كلامية باينت ما هو سائد عن العرب غير المخالطين فأبعدت عن الاستشهاد عند أكثر رواد المدارس النحوية.

لذلك ميّز العرب بين أصوات الأبنية المؤلّفة لكلامهم، وجعلوها ذات وقع

حسن، أو ذات وقع قبيح استناداً إلى الذوق الذي تكوّن لديهم من خلال جملة من التجارب المتراكمة في أذهانهم على جميع المستويات.

أمّا قسمة الاستحسان والاستقباح في الأصوات الفروع، فجاءت بنحو اتباعي لما ذكره علماء العربية من نحاة ولغويين الذين سبقوا البلاغيين في الحديث عنها.

وقد ذكرها ابن سنان في معرض حديثه عن قسمة الأصوات العربية من حيث المخرج والصفة والأصل والفرع وما إلى ذلك، وعبّر عنها بمصطلح «ما يحسن استعماله في الفصيح وما لا يستحسن»، «فالتي تحسن ستة حروف، وهي: النون الخفيفة التي تخرج من الخيشوم، والهمزة المخففة، وألف الإمالة، وألف التفخيم، وهي التي بها ينحى نحو الواو، وذلك كقولهم في الزكاة – الزكاوة – والصاد التي كالزاي، نحو قولهم في مصدر – مزدر – والشين التي كالجيم، نحو قولهم في أشدق – أجدق»(٧٦).

«والحروف التي لا تستحسن ثمانية، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، نحو – كلهم عندك، والجيم التي كالكاف نحو قولهم للرجل – ركل، والجيم التي كالشين، نحو قولهم – خرشت، والطاء التي كالتاء، كقولهم – طلب، والضاد الضعيفة – كقولهم: في أثرد – أضرد – والصاد التي كالسين في قولهم – صدق – والظاء التي كالثاء، كقولهم – ظلم – والفاء التي كالباء، كقولهم – فرند»(٧٧).

ولم يذكر ابن سنان جميع الأصوات الفروع بل أهمل بعضها، ولعل سبب ذلك هو الإشارة لما ينفع في درسه وتركه التفصيل فيما لا ينفع، وورد ذكر هذه الأصوات على سبيل إكمال الرؤية الصوتية وهو ما ألمح إليه بقوله: «وللحروف أيضاً انقسام إلى الصحة والاعتلال والزيادة والأصل والسكون والحركة، وغير ذلك ممّا أكثر علقته بالنحو، ولو ذكرناه في هذا الكتاب أطلناه، وعدلنا عن الغرض في تقريبه، وإنما أردنا ذكر ما لا يستغني عنه طالب معرفة الفصاحة التي لها

يقصد، وإليها ينحو، فأما ما سوى ذلك فاللمحة تقنع منه، واللمعة تغني فيه...»[٧٨].

فقسمة الأصوات عند البلاغيين على هذه الشاكلة تؤكد اهتمامهم في دراسة الأصوات وإفادتهم منها في دراسة البلاغة، ولم يألفوا التبعية للنحاة وغيرهم – وإن وردت عند أكثرهم – ؛ أضف إلى ذلك أن أكثر نظراتهم في هذا المجال أكّدها الدرس الصوتي الحديث[٧٩].

الإدغام

المفهوم:

الإدغام حكم تعاملي عَرَفه العرب قديمهم وحديثهم[٨٠]، وكتبوا عنه في كتبهم المختلفة، وعرّف بـ «أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرّك مماثل له، يرتفع عنهما العضو ارتفاعة واحدة، وإنما قلت (العضو) ولم أقل اللسان كما قال غيري[٨١] لأنّ مثل (ثوب بكر) لا يقال ارتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة»[٨٢]. وغايته التخفيف وتقليل الجهد المبذول في نطق الأصوات في السياق[٨٣].

وسمّاه المحدثون بـ (المماثلة) لكونه أساساً يقوم على مبدأ التماثل بين الأصوات لتأتي بعدها عملية التداخل المشار إليها في كلام القدماء، وجعلها المحدثون على ضربين: مماثلة راجعة ومماثلة متقدمة.

أمّا القدماء فجعلوا الإدغام على ثلاثة أضرب رئيسة: متماثل ومتقارب ومتجانس، كما قسموه على أقسام أخرى بحسب ضوابط معينة مثل الإدغام الكبير والإدغام الصغير والإدغام التام والإدغام الناقص، ويأتي بعضها لازماً؛ أي أنّ الجهاز النطقي يتكيّف لتنفيذه – كما هو الحال في الإدغام المتماثل –، وقد أشار القدماء إلى هذه الآلية اللازمة[٨٤].

والغاية الأساسية من الإدغام هو تقليل الجهد المبذول في نطق الأصوات وتخفيف عبء الأداء الصّوتي ولا سيما إذا كان في الكلام تنافر.

وأكّد علماؤنا القدامى هذه الغاية، من ذلك قول الفرّاء: «فإن اللام تدخل في الراء دخولاً شديداً، ويثقل على اللسان إظهارها فأدغمت»[٨٥]، وقوله أيضاً: «فما ثقل على اللسان إظهارها فأدغم»[٨٦].

ويؤكد الغاية نفسها المبرد بقوله: «لكنك أدغمت لثقل الحرفين إذا فصلت بينهما؛ لأنّ اللسان يزايل الحرف إلى موضع الحركة ثم يعود إليه»[٨٧].

وقد شرحوا كيفية إذابة ذلك الثقيل بالإدغام، ومن ذلك قول ابن جني: «إنهم قد علموا أنّ إدغام الحرف في الحرف أخفّ عليهم من إظهار الحرفين، ألا ترى أنّ اللسان ينبو عنهما معاً نبوة واحد؟»(٨٨).

مذهبا الإلزام والاستئناس:

وذهب البلاغيون في موقفهم من الإدغام مذهبين متناقضين:

- مذهب الإلزام.
- مذهب الاستئناس.

ومثل المذهب الأول (القزويني) وبعض شرّاح تلخيصه(٨٩)؛ إذ عدّوا الإدغام (إدغام المتماثلين)شرطاً من شروط الفصاحة التي تستند إليها البلاغة.

وسمي ذلك الشرط بـ(القياس)، فمخالفته مخالفة للفصاحة واتباعه تمكين اللفظ من شروط الفصاحة كقول الشاعر:

الحمد لله العليّ الأجللِ

«فإنّ القياس الأجل بالإدغام»(٩٠)

في حين مثّل المذهب الثاني ابن الأثير؛ إذ قلّل من أهمية الإدغام، وجعله غير ضروري للكاتب في حين قد ينفع الشاعر، فـ «الإدغام.... لا حاجة إليه للكاتب، لكن الشاعر ربّما احتاج إليه؛ لأنّه قد يضطر في بعض الأحوال إلى إدغام حرف، وإلى فكّ إدغام من أجل إقامة الميزان الشّعري»(٩١).

وما فعله الشاعر الأول الذي اتهم بعدم فصاحة لفظة (الأجلل) إلّا من أجل هذه الغاية، فمفهوم الفصاحة من جهة (القياس) اختلف بين أصحاب المذهبين، ولكلّ وجهته التي يستند إليها، فأصحاب المذهب الأول انطلقوا من مستندين لتعليل خروج التارك للإدغام عن حدود الفصاحة:

أ - لأنّ غاية الإدغام هي التخلص من الثقل في النطق، ويؤدي الثقل بإحدى صوره إلى التنافر الذي يعدّ أكبر مخالفة للفصاحة(٩٢).

ب - لا بدّ لمن يريد نيل مرتبة البلاغة في كلامه أن يسير على ما سار عليه السابقون ومخالفتهم تعني مخالفة غايته.

في حين ينطلق أصحاب المذهب الثاني من مستندين أيضاً:

أ - أنّ فك الإدغام عند الشاعر من باب الضرورات التي تجوز له ولا تجوز للكاتب، وبالخصوص إذا كان في الفكّ تعديل للوزن.

ب - أنّ مسألة إدغام المثلين لها من ينكرها ويراها غير ضرورية، ويشير إلى ذلك السّبكي بقوله: «وقد يرد على المصنف ما خالف القياس وكثر استعماله فورد في القرآن الكريم، فإنه فصيح مثل استحوذ. قال الخطيبي أمّا إذا كانت مخالفة الاستعمال لدليل فلا تخرج عن كونه فصيحاً كما في سرر؛ يريد أنّ قياس سرير أن يجمع على أفعلة وفعلان مثل أرغفة ورغفان. قلت إن عنى بالدليل ورود السماع فذلك شرط لجواز الاستعمال اللغوي لا للفصاحة، وإن عنى دليلاً يصيره فصيحاً وإن كان مخالفاً للقياس فلا دليل في سرر على الفصاحة إلّا وروده في القرآن، فينبغي حينئذ أن يقال: إن مخالفة القياس إنّما تخلّ بالفصاحة حيث لم تقع في القرآن الكريم، ولقائل أن يقول حينئذ لا يسلم أن مخالفة القياس تخلّ بالفصاحة. ويسند هذا المنع بكثرة ما ورد منه في القرآن بل مخالفة القياس مع قلّة الاستعمال مجموعها هو المخلّ، وإن أراد الخطيبي أن سرراً خالف القياس لعدم الإدغام فليس بصحيح فإنه ليس قياس الإدغام وليس كل مثلين يدغم أحدهما في الآخر»[٩٣].

والفيصل في الميز بين الموقفين هو؛ إذا كان ترك الإدغام مضرّاً بتناسب أصوات اللفظ وتآلفها فهو مخالف للفصاحة حتى إن كان من باب (ضرورات الشعر)، أما إذا لم يضرّ في تناسب أصوات اللفظ وتآلفها فلا يضرّ في مخالفته إن كان فيه ضرورة.

الأبعاد الجمالية للإيقاع الصوتي عند البلاغيين

المدخل:

يعرّف الإيقاع بأنه «تتابع نظامي لفاصل زمني معين أو مجموعة من الفواصل الزمنية المعينة بالنسبة للأصوات أو الحركات، وهو موصوف بتوكيد نظامي أو شخصي»[٩٤].

وقد تعددت مناحي الأثر الموسيقي في النفس البشرية بين باحث عن رقي روحي ومعالج وقاصد انفعال... إلخ، فالفلاسفة على اختلاف مشاربهم العقائدية استعانوا بالموسيقى للتدرج بمراتب النقاء والمعالجة النفسية، بدءاً بالفلسفة الإغريقية – أو قبلها – ووصولاً إلى الفلسفة المعاصرة[٩٥]. فأفلاطون يرى في الموسيقى أداة لتهذيب النفوس وتغذيتها روحياً[٩٦]؛ لأنّها تذيب الحقد والبغض لتجعلها لينة العريكة[٩٧]، واقترب الفارابي (ت ٣٣٩هـ) من المنحى الأفلاطوني بوصفه للعلاقة بين الموسيقى والنفس البشرية بأنها «مركوزة فيـ[ها] من أول كونـ[ها]»[٩٨]. أما ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) فطوّر هذه النظرية ليعرف النفس بأنها: «...تأليفات عددية أو لحنية، ولهذا تناسب النفس مناسبات الألحان والتذّت بسماعها وطاشت وتواجدت بسماعها وجاشت»[٩٩]. فحدت هذه النظرة الناس على أن يؤمنوا بوجود رباط وثيق بين السحر والموسيقى – في الحضارتين الإغريقية والعربية –[١٠٠] لما تخلفه من أثر، سواء أكان محزناً أم مفرحاً، باعثاً على اليقظة أم على النوم[١٠١].

وسلك علماء النفس مسلكاً يتماسّ مع المسلك الفلسفي؛ إذ استغلوا الموسيقى في العلاج والصفاء الذهني، فضلاً على إشارتهم إلى الأثر الانفعالي الذي تؤديه الموسيقى في النفس الإنسانية[١٠٢]، كما استغل هذه العلاقة أكثر الأدباء والنقاد

قديماً وحديثاً[١٠٣]، ليبينوا مناطق الإبداع في النص ومساقط تأثيرها في نفس المتلقي، والرابط ليس بعيداً بين الموسيقى – بمفهومها المعروف – والموسيقى اللغوية؛ لأنّ الأواصر متقاربة، سواء على مستوى التأثير النفسي أم على المستوى الذاتي، لأن الأصوات اللغوية تقسم قسمين؛ موسيقية وضوضائية، كالأصوات المنبعثة من الآلات الموسيقية[١٠٤].

وما يهمّنا هنا من جملة هذه التأثيرات التي يوحي بها الإيقاع، تأثيره في وحدات التواصل الإبداعي:



ولولا هذه الوحدات لما وصل الإبداع القديم، ولما استمر الإبداع المعاصر بالإنتاج.

وقد نقل ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) نصّاً عن الجاحظ وضّح فيه تأثير الإيقاع في هذه الوحدات الثلاث، على الرغم من أنه خصّ هذا الكلام بالشعر[١٠٥].

ولم يؤكد البلاغيون الإيقاع الظاهر فقط، بل حاولوا إدخال (التناسب والتوافق) في النسج والتأليف في الحقل نفسه، وهي مسألة أكّدها المحدثون أيضاً ولاسيما (فانسان داندي) الذي عرّف الإيقاع بأنه انتظام في الصوت وتناسب في البعد، وكذلك (ريتشاردز) الذي حصره بـ(التكرار والتناسب)[١٠٦].

ولم يكن هذا التصوّر من عند المحدثين فحسب، بل إن جذوره تمتد إلى أقوال علمائنا القدامى ولاسيما البلاغيون منهم؛ إذ جعلوا الإيقاع على نمطين: نمط الوزن الذي يتفرع إلى عروض النظم ونغم النثر، ونمط التناسب الذي يعتمد على أساس سبك التأليف والنظم.

وعلى الأساس الثاني جعل العلوي البلاغة على مرتبتين:

«فالطرف الأعلى منه يقع التناسب فيه بحيث لا يمكن أن يزاد عليه، وعند هذا

تكون تلك الصورة وذلك النظام في الكلام في الطبقة العليا من الحسن والإعجاب، والطرف الأسفل أن يحصل هناك من التناسب قدر بحيث لو انتقص منه شيء لم تحصل تلك الصورة، ثم بين الطرفين مراتب مختلفة متفاوتة جداً»[١٠٧].

وربط ابن سنان[١٠٨] بين اللحن الجليّ – أي في الإعراب – ومخالفة رونق البلاغة القائم على أساس التناسب في تأليف الكلام الذي يعدّ بحدّ ذاته مخالفة لقواعد الناطق العربي في نسج تراكيبه، وهي تلميحة سبقت ما ذهب إليه د.إبراهيم أنيس في أن الإقواء – وهو عيب من عيوب القوافي يقوم على مخالفة الإعراب لإقامة القافية – مخالفة للإعراب لمساندة إيقاع الكلام[١٠٩]. وهذا تقارب في الأساس الذي ينطلق منه في التعليل، فكلاهما يؤكد التناسب وإيقاعية التأليف.

وتبعاً لما مرّ ذكره يكون البلاغيون قد ألمحوا إلى الكثير من الأقوال التي تعدّ من مسلمات الدرس الحديث، مما يدلل على رجاحة ذهنهم وقوة رأيهم وسلامة نظرتهم الرابطة بين الفكر الصوتي والتحليل الجمالي للنصّ.

ويمكن إجمال الأبعاد التي تناولها البلاغيون في تحليلاتهم وأقوالهم ببعدين:

أ – البعد النفسي:

«إن من شأن النفس إذا رأت صورة حسنة متناسبة الأعضاء في الهيئات والمقادير والألوان وسائر الأحوال مقبولة عندها، موافقة لما أعطتها الطبيعة، اشتاقت إلى الاتحاد بها فنزعتها من المادة، واستبثتها في ذاتها، وصارت إياها كما تفعل في المعقولات»[١١٠].

هذا تصوّر تبنّاه الفلاسفة المسلمون[١١١]، على مستوى الفلسفة الإلهية والإبداع، وما ذكرناه سلفاً يتبع المستوى الثاني، لكنه لا يختلف كثيراً عن مقولات المستوى الأول.

ولما كان الإيقاع مهمّاً في تحسين النصّ ولاسيما من الناحية النفسية، حذّر البلاغيون من المبالغة فيه وأكّدوا ضرورة الاعتدال في استعماله وعدم الخروج عن المدى المعقول للاستعانة به.

فللعرب حدود لاستعماله في كلامهم، ومخالفته تعدّ تجاوزاً للمألوف، ويكون هذا التجاوز خروجاً عن القاعدة العامة لضبط التأليف العربي، فيكون بذلك عيباً مستهجناً، لذلك نجد ابن الأثير يؤكد قضية (الاعتدال) في الاستعانة بالإيقاع، ولاسيما في حديثه عن السجع، ويجعلها الأصل في استعماله(١١٢).

ومن مراجعة النصوص البلاغية التي حذّرت من المبالغة في الإيقاع، وجدنا العلّة في ذلك – عند معظمهم – نفسية، يمكن تلخيصها بالآتي:

١ – **كسر الألفة**: إنّ النفس إذا طُبعت على شيء ألفته وانسجمت معه وجعلته معياراً لتحسّس مواقع القبح والجمال في موازينها التعاملية، ومخالفة ذلك الطبع يعدّ كسراً لتلك الألفة ومفارقة لها.

لذلك دعا البلاغيون إلى عدم مخالفة تلك الألفة، ففيها: «مفارقة الطبع وقلة الحلاوة»(١١٣)؛ لأن النفس إذا تعوّدت على شيء ألفته، فإذا زاد عن حدّه مجّته ورفضته(١١٤).

٢ – **كدّ الذهن**: إن مجاوزة المعقول في كلّ شيء ممجوج، واستيعابه – من دون شكّ – يتعب الذهن ويكدّه؛ لذلك دعا البلاغيون إلى التزام الحدود المعقولة في الاستعانة بالإيقاع في كلامهم؛ لأن التعويل عليه من دون الالتفات إلى إيحاءاته الدلالية يكون عبئاً على النصّ لا مجمّلاً له.

فالشعر إذا كان من هذا الضرب «صار [من الجنس الذي] إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلّا بعد إتعاب الفكر، وكدّ الخاطر، والحمل على القريحة، فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة، وحين حسره الإعياء، وأوهن قوته الكلال، وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن، أو الالتذاذ بمستظرف، وهذه جريرة التكلف»(١١٥).

لذلك ربط د. أحمد مطلوب بين النظرية التأثيرية ومعيار (الذوق) التي يهدف إليها الجرجاني من جهة وبين بلوغ المعاني من دون كدّ الذهن، بل هي مراجعة نفسية لما تلقى المستمع(١١٦).

ويتضح من خلال هذا التتبع أن الأقوال البلاغية ذات مرجعيات مختلفة، ففي

هذا القسم من الدراسة اتضح اعتمادهم على الرؤى الفلسفية، لكنهم لم يكونوا مجرد ناقلين مقلدين بل لاحظناهم موسعين هذه الفكرة ومبيّنين جوانب السلب والإيجاب فيها، ولاسيما في تحديد استعانة الكاتب والشاعر بالإيقاع، وحصره ضمن حدود لا يجوز له تخطيها، لا لأنها قانون فقط، بل لأنها سمة من سمات النفس الإنسانية التي انطلقوا من تصوّرها للجميل والقبيح في الكلام والتأليف.

ب – البعد الإبلاغي:

للإيقاع أبعاد فرعية كثيرة، لكننا جمعناها في بعدين فقط لأنهما يجمعان ما فرّعه السابقون، فلاحظنا أن البعد الاجتماعي مذاب في البعد النفسي؛ لأنهما ينطلقان من ذائقة الجماعة وتجسيد الفرد لها، في حين نجد أن البعد الإبلاغي يذوّب بعدين آخرين هما (البعد الفني) و(البعد الجمالي)، فأما الأول فإنه عام يناقش قضية الحسن في استعانة النص بالإيقاع، في حين يدلّل الثاني على معنى واسع يشمل جميع ما ذكر، لأن المبدع يعمد للإيقاع لبلوغ الجمال.

وقد اخترنا عنوان (البعد الإبلاغي) لأن فيه تَميّزاً مما سواه، فهو بعد لم يشر إليه غير البلاغيين – من خلال مراجعتي – بل لو كانت ثمة إشارات فإنها لا تبلغ شأو أقوال البلاغيين التي امتازت بالنضج والجدّة.

ويعدّ هذا التصوّر تصوّراً ناضجاً لقيمة الإيقاع الإيحائية في النصوص، وهي مسألة حاول المحدثون نسبها إلى أنفسهم، وذلك بدرجها ضمن إجراء تحليلي – نقدي وسموه بـ(الأسلوبية الصوتية)(١١٧).

إذ إن «للإيقاع الصوتي المؤثر دلالات بلاغية، لا تقلّ في أهميتها عن دلالة الألفاظ، وتزيد أهمية الإيقاع الصوتي، إذا تطابقت دلالاتها مع دلالة الألفاظ، أو وسعتها، أو أكملتها»(١١٨).

التكرار والاستبدال:

ويقوم تصوّر معظم البلاغيين ذاك وفكرة المحدثين من الأسلوبيين على أساسين هما:

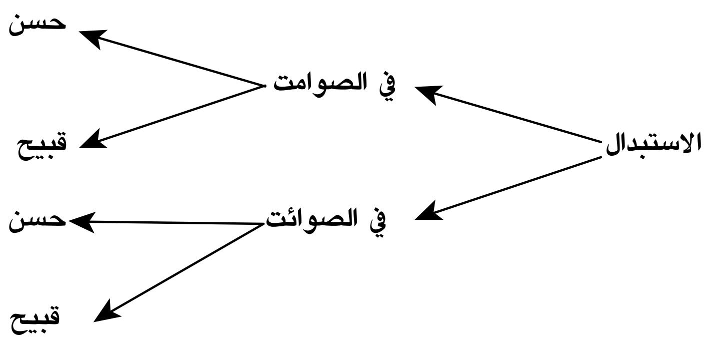
- التكرار.

- الاستبدال.

وسنتحدث عن الأساس الأول في معرض حديثنا عن فصاحة اللفظ، إن شاء الله تعالى. أما الأساس الثاني، فسنقف عنده وقفة متأنية.

يعرف (الاستبدال) بأنه: «عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر»(١١٩).

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذه العملية وأثرها في تحسين النص أو تقبيحه في معرض حديثه عن الجناس، وتناول هذه العملية على مستويين، مستوى الحسن والقبح، ومستوى الصوامت والصوائت:



وجعل مقياس الحسن والقبيح في الاستبدال بين الأصوات في النص الواحد، ومدى تأثيره في المعنى وتغييره لدلالة السياق الذي وردت فيه، وهو دأب الجرجاني في نظريته البلاغية لجماليات النصوص القائمة على أساس (النظم)(١٢٠).

فمثال الاستبدال الصائتي (الحسن والقبيح) حديثه الذي وازن فيه بين بيت لأبي تمام وبيت لشاعر آخر، هما:

قول أبي تمام:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت   فيه الظنون أ مُذْهَبٌ أم مَذْهَبُ(١٢١)

وقول الشاعر:

نـاظـراه فـيـمـا جـنـى نـاظـراه أوْ دَعـاني أمت بـمـا أوْدَعـاني[١٢٢]

فقد أوضح قبح الاستبدال الأول وحسنه في الثاني بقوله: «أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام واستحسنت تجنيس القائل وقول المحدث لأمر يرجع إلى اللفظ؛ لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني، ورأيتك لم يزدك بمَذْهَب ومُذْهَب على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلّا مجهولة منكرة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السّريرة صار التجنيس وخصوصاً المستوفى منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع، فقد تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلّا بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلّا مستحسن ولما وجد فيه معيب مستهجن»[١٢٣].

ولو دققنا في موازنة عبدالقاهر الجرجاني لوجدناها غير متكافئة؛ لأن بيت أبي تمام يقوم على أساس الاستبدال بين (الفتح والضمّ) في حين يقوم بيت الشاعر الثاني على أساس الوقف والاستئناف، لذا لا يمكن التفاضل بينهما؛ لأن وجهة التجنيس مختلفة.

أما مثال الاستبدال الصامتي فشاهده قول أبي تمام أيضاً، وهو:

يـمدون مـن أيـدٍ عـواصٍ عـواصـم تـصـول بـأسـيـاف قـواضٍ قـواضـب

وعلّل ذلك بـ «إنك تتوهم قبل أن ترد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم والباء من قواضب، أنها هي التي مضت، وقد أردت أن تجيئك ثانية وتعود إليك مؤكدة، حتى إذا تمكن في نفسك تمامها، ووعى سمعك آخرها، انصرفت عن ظنك الأول، وزلت عن الذي سبق من التخيل، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها»[١٢٤].

أما ابن الأثير وابن سنان فأكّدا أن (المحل) له أثر في تحسين النص، ولاسيما في جعل الإيقاع متناسباً مع السياق الذي ورد فيه[١٢٥].

فأكّد البلاغيون من خلال تصورهم هذا أن للإيقاع بعداً آخر قلّ المشيرون إليه – ممن سبقهم أو عاصرهم من علماء العربية –، وهي مسألة تؤكّد من جديد حيوية أذهانهم وتبنيهم أموراً يرى المحدثون أنهم أصحابها(١٢٦).

ما يلحق بالمقدمة الصوتية

١ – عيوب الكلام:

يّعد هذا العلم قسيماً لمجموعة علوم الأصوات التي اهتمَّ المحدثون بدراستها وتبويبها وتجميع موضوعاتها المتفرقة بين العيوب المرضية والأدائية.

وقد أبدع البلاغيون في هذا الباب بتفصيل الحديث عن جميع أنواع هذا العلم إضافة إلى كونهم من أوائل المشيرين إليه، وخصوصاً الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)[١٢٧].

وجاء اهتمام البلاغيين بهذا العلم لأمرين:

أ – كون الأصوات أساساً من أسس درسهم، وهذا العلم جزء مهم منه فتطرقوا إليه بوصفه موضوعاً تكميلياً يوضح جوانب السلب والإيجاب في أداء الصوت ونطقه.

ب – كون البلاغة تقوم أساساً على سلامة آلية النطق وسلامة الأصوات، وهو ما لا يتسنى بلوغه إلّا من خلال معرفة الأداء السليم لنطق الأصوات، للميز بينه وبين الأداء المعيب له، وهو موضوع سنفصل الحديث عنه في المبحث القابل إن شاء الله تعالى.

وقسّم المحدثون هذه العيوب إلى قسمين:

- قسم مَرَضي.
- قسم غير مَرَضي[١٢٨].

وهي قسمة لم يفت معظم البلاغيين لمحها؛ إذ أشار أبو طاهر البغدادي إليها بقوله: «وقال قائل: عيوب المنطق صنفان: صنف مذموم، وصنف خلقيّة لا سبيل إلى الانتقال عنها، والمذمومات توجب الذمّ إذا كان الإقلاع عنها إلى غيرها ممكناً»[١٢٩].

وقسّم أصحاب التجويد العيوب غير المرضية إلى قسمين أيضاً:

- اللحن الجلي: الخطأ في الإعراب.

- اللحن الخفي: الخطأ في الأداء.[١٣٠]

ولم يفت معظم البلاغيين لمح هذه القسمة أيضاً والحديث عنها، فالقسم الأول تحدّث عنه بعض البلاغيين[١٣١]، أمّا القسم الثاني فأشار إليه ابن الأثير بقوله: «ومع هذا فلا ينبغي لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر أن يهمل من علم العربية ما يخفى عليه بإهماله اللحن الخفي؛ فإن اللحن الظاهر قد كثرت مفاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه غير النحوي، ولا شك أنّ قلّة المبالاة بالأمر واستشعار القدرة عليه توقع صاحبه فيما لا يشعر أنّه وقع فيه؛ فيجهل بما يكون عالماً به»[١٣٢].

فهذه اللمحة الذكيّة من بعض البلاغيين تؤكد مجدّداً أنّ التفكير الصّوتي كان حيّاً في أذهانهم، ممّا أهّلهم لأن يتحدّثوا عن القواعد العامة والجزئيّات في هذا العلم، ليس من باب اتباع النحاة واللغويين فقط، وإنما لأنّهم احتاجوا إلى تلك المعلومات لإثراء درسهم وتبيان أصول البلاغة ومرجعياتها التي يعتمدون عليها في تحليلاتهم، وهي: سلامة الجهاز النطقي، وتلاؤم الأصوات في صياغة اللفظ المفرد والمركّب.

٢ - قانون الجهد الأدنى:

من القوانين الصوتية التي أكّدها المحدثون وناقشوها في مواضع كثيرة من دراساتهم التي تفاوتت في الكم والكيف، وعُبّر عن هذا القانون بمصطلحات كثيرة كـ(قانون التسهيل) أو (التخفيف) أو (الاقتصاد)[١٣٣]، لكن دو سوسير اصطلح عليه بتسمية: «قانون الجهد الأدنى»[١٣٤].

ويراد به: «...الاعتدال والاستقامة، بلا إفراط ولا تقتير، والغاية منه التوفير. وهو في الدلالة اللغوية: اتخاذ القصد. قال ابن جني: «أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام والتوجه والنُّهود والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور. هذا هو أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخصّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون ميل»[١٣٥]. وعلى هذا يصير القصد: «العدل واستقامة الطريق، والوسط بين الطرفين، أي: ما بين الإسراف والتقتير»[١٣٦].

ومن إشارتهم لأهمية التخلّص من الثقل في النطق والبحث عن تسهيله قول

ابن سنان بأنّ: «وقوع المهمل من هذه اللغة – على ما قدمته – في الأكثر من اطراح الأبنية التي يصعب النطق بها لضرب من التقارب في الحروف، فلا يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لحزونة ذلك على ألسنتهم، وثقله، وقد روي أنّ الخليل بن أحمد قال: سمعنا كلمة شنعاء هي: الهُعخع وأنكرنا تأليفها، وقيل: إنّ أعرابياً سئل عن ناقته، فقال تركتها ترعى الهعخع، فلما كشف عن ذلك وسئل الثقات من العلماء عنه أنكروه ودفعوه، وقالوا: نعرف الخعخع، وهذا أقرب إلى تأليفهم، لأنّ الذي فيه حرفان حسب، وحروف الحلق خاصة مما قلّ تأليفهم لها من غير فصل بينها، كلّ ذلك اعتماداً للخفّة، وتجنّباً للثقل في النطق...»(١٣٧).

وقد ألحّ البلاغيون على هذا القانون لأمرين:

أ – تأكيدهم مسألة الاعتدال في بناء النصوص لبلوغ حدود الفصاحة والبلاغة، ومن ذلك نصّ ابن الأثير الذي تحدّث فيه عن السّجع: «واعلم أن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام؛ والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع»(١٣٨).

ب – جعلهم التنافر منافياً للفصاحة والبلاغة، لما يسبّبه من إثقال في النطق وزيادة في بذل الجهد لأداء عملية التصويت، وخلافه تأتي السلاسة والسهولة في الكلام، اللتان لا تتأتّيان إلّا باعتماد هذا القانون.

القسم الثاني

آلة البلاغة:

النطق أساس الكلام، ولولاهما لما استطاع الإنسان التفاهم في حياته، ولما استطاع أن يدوّن ذلك المتداول في الصحف – يستثنى من ذلك الشعوب التي تعتمد على اللغة الإشارية[١٣٩].

ومما تقدم تبيّن أنّ تعبير الناس عن حاجتهم يتم في نمطين:

- نطقي؛ ويتمثل بالكلام.
- رمزي؛ ويتمثل بالكتابة.

ويشترط في التواصل بين البشر عن طريق هذين النمطين، الوضوح والبيان في طرائق التعبير، وهو ما عبّر عنه في المتن المعجمي العربي بـ(الإبانة)[١٤٠].

وأصبحت (الإبانة) أساس علوم العربية[١٤١]؛ لذلك عمد العلماء الأوائل ومن خلفهم لوضع معايير تعمل على تجسيد ذلك القيد في نمطي التواصل، حتى بلغ الأمر بصاحب كتاب (مواد البيان) أن يجعلها معياراً للتفاضل بين الأدباء[١٤٢]، الذين يتطلّعون لنيل البلاغة.

وعلى هذا الأساس قسّم البلاغيون البلاغة إلى قسمين:

- بلاغة اللسان.
- بلاغة القلم.

وأريد بالأول البلاغة التي تتلمس من مشافهة المتكلم بعيداً عن التدوين، وأريد بالثاني تلمس البلاغة في النصّ المكتوب بعيداً عن المشافهة.

وعبّر عنهما بمصطلحات أخرى مثل: (بلاغة المنطق) و(بيان اللسان) وغير ذلك، ولعل رائد هذا التصنيف بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ)، والجاحظ (ت ٢٥٥هـ).

يقول بشر في توضيحه لهذا التوجه: «فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامّة معاني الخاصّة...»[١٤٣].

وأكّد المسألة الجاحظ بقوله: «وكان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع، مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلّا ما لا يذكر مثله»[١٤٤].

واهتم البلاغيون بالقسم الأول[١٤٥]، لإمكان تذوقه مباشرة من خلال السمع الذي وضع معياراً للميز بين المستحب والمستقبح من الكلام، لـ«أنّ الألفاظ داخلة في حيز الأصوات؛ لأنها مركبة من مخارج الحروف؛ فما استلذّه السمع منها فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح»[١٤٦].

لذلك نجد البلاغيين يؤكّدون ضرورة (الإبانة) في النطق، فجعلوا ذلك القيد أساساً لتحديد (البلاغة) وقاعدتها (الفصاحة): «لأن ما بين الحيوان الناطق والصامت هو النطق، وبه وقع التمييز في الحدّ المنسوب إلى الحكيم وإن كان يفسره أصحابه بغير هذا الظاهر، فالشرف منه يؤخذ، والفضل به يقع، ولا خلاف في أن الصمت أفضل من مطرح الكلام ومنبوذه، وأوفق للسامع من كلف ذلك، فقد صار مع هذا التخريج الفصل المميّز والفضل اللائح إنما هو للإفصاح والبيان والبلاغة وحسن النطق، دون ما يسمّى كلاماً فقط، ووجب على من أراد أن يخرج من حيز ذلك الصامت سلوك الطريق الذي به توجد الفضيلة، وعنه تدرك الميزة، باجتهاده إن كان لا دربة له، وتكلفه إن كان لا طبع عنده، وليعلم أن من شارك الناطق بالصورة، وخالفه بالمعنى الموجب للشرف، أسوأ حالاً وأقبح صفة من الصامت المخالف في الأمرين معاً، لأن هذا غريب في الموضع الذي وجد فيه أهلاً، ووحيد في المكان الذي خلق به آنساً»[١٤٧]، لذلك جعلوا قيد (الإبانة) أساساً في توضيح (حدّ) الفصاحة والبلاغة، وبلوغه يأتي من صفاء جهاز النطق من جميع العيوب.

فذهاب (لكنة) العجمي وإجادة العربية من غير العربي يعدّ فصاحة فـ(الفصيح العجمي إذا خلص من اللكنة وفصح الرجل جادت لغته، وأفصح تكلّم

بالعربية»[١٤٨]، لذلك وضع ابن وهب قيد (فصاحة اللسان) في تعريف البلاغة: «لأن الأعجمي واللحّان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكونان موصوفين بالبلاغة»[١٤٩].

وأكّدت الدراسات الألسنية الحديثة هذا التوجه في دراسة اللسان البشري، و«الألسنية لا تتميز عن القواعد التقليدية وحسب وإنما عن فقه اللغة أيضاً. وبما أن هذا الأخير يثابر على دراسة النصوص فإنه (ينسى اللغة الحيّة) مع الاعتراف أن الكثير من اللغات لا توجد إلّا بشكل شفوي، بل ثمة مجتمعات من دون كتابة، في حين أن أيّة لغة طبيعية لم توجد أبداً في شكل الكتابة الوحيد. وبمعنى آخر، أن الكلام أقدم وأكثر انتشاراً من الكتابة.... ولذا، فإن الألسنية البنيوية طرحت مبدأ سموّ اللغة الشفوية المنطوقة على اللغة المكتوبة»[١٥٠].

ولما تركّب الجهاز النطقي عند الإنسان من تكوّنات معقدة تألّفت من أعضائه؛ اللسان وغيره، أصيب أداؤه في بعض الأحيان بأعطاب توزعت بين: «التلف أو المرض أو التشوه أو سوء التركيب في أي عضو من أعضاء الجهاز الكلامي مما يؤدي إلى خلل في تأدية وظيفة هذا العضو، فيحدث نتيجة لذلك اضطراب أو عيب في النطق»[١٥١].

فيكون العيب تبعاً لذلك في جانبين:

- آلة النطق؛ في أعضاء الجهاز النطقي.
- أداء النطق؛ في كيفية تأدية الأصوات.

ولتأكيد أهمية هذين الجانبين في الدرس البلاغي اصطلح البلاغيون عليهما بمصطلح (آلة البلاغة)[١٥٢] وأرادوا بها؛ سلامة آلة النطق وأداء الأصوات الناتجة عنها[١٥٣]. وعُبّر عنها أيضاً بمصطلح (آلة البيان) و(آلة المنطق).

وكان منشأ هذا الاصطلاح (الصحيفة الهندية) التي ضمنها الجاحظ كتابه البيان والتبيين[١٥٤]، واعتمد عليها معظم اللاحقين من البلاغيين في بيان محاور البلاغة ومضامينها.

وممّن ذكرها وشرح مفاصلها أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، وما يهمّنا

من شرحه، الفصل الخاص بمصطلح (آلة البلاغة) الذي جاء فيه: «فقوله: فأول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وأوّل آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان...»[١٥٥].

وتختلف (الآلة) من بليغ إلى آخر بحسب مقدار تمامها وآلية استغلالها في التواصل (الشفهي).

فهناك تام الآلة، وهناك ناقصها، فالتام هو: «الذي يوجد له جميع ما من شأنه أن يوجد، والذي ليس شيء مما يمكن أن يوجد له، ليس له»[١٥٦]. وسمّي التام كاملاً أيضاً[١٥٧].

لذلك سمّي تام الآلة في البلاغة بـ(البليغ التام) و(البليغ الكامل)، ذكر الأول بشر بن المعتمر واعتمد عليه الجاحظ في بيانه، وذلك «إن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك... ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام»[١٥٨].

أمّا الثاني فذكره أبو طاهر البغدادي في معرض حديثه عن الألفاظ بنص جاء فيه: «فالبليغ الكامل هو الذي تكون الألفاظ عنده عتيدة غزيرة، والمعاني في نفسه جمّة كثيرة، فإنه مع ذلك يجيش بحره ويسهل الكلام والكتاب عليه، والذي يجب على البليغ في استعمال الألفاظ أن تكون سمحة سهلة، لها حلاوة وطلاوة، وعليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة، فلا يكون متوعراً وحشياً، ولا ساقطاً عامياً، ومن نعوتها أن تصير الأجزاء متناسبة الوضع، متقاسمة النظم، متعادلة الوزن»[١٥٩].

ومثلما تحدث البلاغيون عن تمام الآلة وتامّها، تعرضوا للحديث عن ناقص الآلة أيضاً، لكنهم هنا انقسموا إلى قسمين؛ قسم استجلب مصطلح (ناقص الآلة) بذكر مضاده (كمال الآلة)، وقسم ذكروه صراحة.

ففي سياق القسم الأول أورد الجاحظ نصّاً جاء فيه: «لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف، وتكميل آلة البيان، لما نزع ثناياه»[١٦٠].

أما من ذكرها صراحة، فالجاحظ الذي تحدث عنه في معرض حدّه الحكلة

بقوله: «فإذا قالوا: في لسانه حكلة: فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلّا بالاستدلال»[١٦١].

وكذلك ذكرها العسكري صراحة بنص جاء فيه: «وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما؛ لأن كلّ واحد منهما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له. وقال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا لا يجوز أن يسمّى الله تعالى فصيحاً إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة، ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان والدليل على أن الألثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف، وقيل زياد الأعجم، لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف، وكان يعبر عن الحمار الهمار فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه؛ (فعلى) هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى»[١٦٢].

وعلى هذا الأساس جعل البليغ على قسمين تبعاً لآلة البلاغة المتحددة في سلامة النطق وأدائه:

- البليغ التام.
- البليغ الناقص.

ومن أشهر بلغاء العرب الذين استطاعوا إتمام نقص آلتهم (واصل بن عطاء)؛ لأنه كان لا ينطق صوت الراء بنحو سليم، وعلى الرغم من تمكنه من تجنّبها في نطقه، ظل مثالاً لصاحب الآلة الناقصة حتى وإن استطاع معالجتها بترك موضع العيب، وأشار الجاحظ إلى ذلك بقوله: «ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذ كان داعية مقالة، ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل، وأن البيان يحتاج إلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى

الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب،...وتزين به المعاني، وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام،...ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة – رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه؛ أخرجها من حروف منطقه – فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه... حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمل»(١٦٣).

وما يؤكد بقاء تلك الإشارة أنها استقرّت مصطلحاً عند جملة من البلاغيين، إذ وسموها بـ(الحذف) وجعلوا شاهده الأساسي (قضية لثغ واصل ومعالجته إيّاها)، ووضحه البحراني بنص جاء فيه: «الحذف: وهو الاحتراز عن حرف أو حرفين في الكلام إظهاراً للحذف في تلك اللغة. مثاله: كان واصل ألثغ وكان يحترز عن الراء، فجرّب في أنه كيف يعبّر عن معنى قولنا: اركب فرسك واطرح رمحك. فقال في الحال: ألق قناتك. واعلُ جوادك»(١٦٤).

ولما تأكد أهمية هذه المعايير وتلك القيود للبلاغيين وخصوصاً الرواد منهم، عمدوا لتتبع العيوب التي تصيب (آلة النطق)(١٦٥)، والتعرض لتعريفها ليستطيع الناطق معالجتها أو تجنبها، أضف إلى ذلك اعتماد الدارسين وغيرهم عليها ليتسنى لهم التمييز بين كامل الآلة ليُقدّم، وناقصها ليتبوّأ مكانه الصحيح، وعمدنا فيما يأتي لتتبع تلك المصطلحات في مظانها الرئيسة.

عيوب ناقص الآلة (دراسة ومعجم):

قبل عرض التعداد، لابّد من التمييز بين مناشيء تلك العيوب التي يأتي بعضها من عيب خلقي وبعضها يأتي من خلل أدائي(١٦٦).

وفيما يأتي عرض لهذه المصطلحات مرتبة ترتيباً ألفبائياً:

١ – البحة:

ذكرها أبو طاهر البغدادي وجعلها ضرباً من ضروب (فساد المنطق)، وعرفها بأنها: «فساد مخارج الصوت... وعدم اعتدال المخارج من الحلق والخياشيم والصدر»(١٦٧).

٢ – الترخيم:

يراد به حذف بعض الحروف من آخر بنية الكلمة، ويأتي على وجهين؛ وجه محبّذ ووجه غير محبّذ.

فالأول، هو الوجه المعروف في كتب اللغة والنحو والمتداول في كلام العرب مثل بيت امرئ القيس:

أ فاطم مهلاً بعض هذا التدلل...(١٦٨).

وأراد بـ(فاطم): (فاطمة)

أما الوجه غير المحبّذ فذكره (المبرد)، واكتفى بحدّه بأنه: «حذف في الكلام»(١٦٩).

ويعرف الوجه المعيب عند المحدثين من هذا الضرب الأدائي بـ«omission»، وهو ضرب من ضروب عسر الكلام الذي ينشأ عن علة [مرضية] تتصل إما بإصابة الجهاز العصبي المركزي C.N.S أو بالأعصاب الدائرية peripheral، وعلى حسب نوع الإصابة ومكانها تحدث أنواع مختلفة من عيوب المنطق»(١٧٠).

٣ – التمتمة أو التمتام:

ذكره الجاحظ نقلاً عن الأصمعي وعرفه بأنه: «تتعتع اللسان في التاء»(١٧١)، واستنكره لأن الناطق به «غير معرب عن معناه، ولا مفصح بحاجته»(١٧٢).

٤ – الحبسة:

هي نوع من أنواع العجز النطقي بحيث يصعب عليه انطلاق لسانه بسهولة واستمراره في كلامه.

وعرفها الجاحظ بنص جاء فيه: «ويقال في لسانه حبسة إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حدّ الفأفاء والتمتام»(١٧٣)، وعرّفها المبرد بقوله: «الحبسة تعذر الكلام عند إرادته»(١٧٤).

٥ – الحكلة:

ضرب من ضروب العجز النطقي الشديد، بسبب اجتماع أكثر من عطب في جهازه النطقي.

وعرفه الجاحظ بقوله: «فإذا قالوا: في لسانه حكلة: فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال»(١٧٥). وذكره في موضع آخر من كتابه بنص جاء فيه: «يقال في لسانه حكلة: إذا كان شديد الحبسة مع لثغ»(١٧٦).

ولعل النص الثاني أكثر وضوحاً في تحديد ماهية هذا العيب، فصاحب الحكلة مصاب بعجمة ولثغة وحبسة، وهو ما حدا بأبي طاهر البغدادي أن يقرنه بـ(البحة) بقوله: «و الحكلة كالبحة حتى كأنه يُسرّ كلامه»(١٧٧).

٦ و ٧ – الخنخنة (الخنّة) والغنغنة (الغنّة):

إن جرد المتن اللساني العربي القديم – ولاسيما البلاغي منه – وما دار في فلكه من كتابات المحدثين يرشدنا إلى مصطلحين دلّا على نطق معيب للنون سمّي الأول منهما بـ(الغنة) والثاني بـ(الخنّة)، على الرغم من كون الأول يأتي صفة حسنة للنون أيضاً – (١٧٨).

ومن استقراء النصوص تبين أن علماء العربية والمحدثين ينظرون إلى الصلة بينهما على محاور خمسة هي:

١ – الفصل بينهما من دون إشارة إلى وجه العموم والخصوص بينهما(١٧٩).

٢ – المرادفة بين المصطلحين(١٨٠).

٣ – المفاصلة بينهما بـ(العموم والخصوص)(١٨١).

٤ – آراء مضطربة(١٨٢)،(١٨٣).

٥ – إهمالها جزئياً أو كلياً(١٨٤).

وقد دُرس مصطلح (الغُنّة) على أنّه صفة غير معيبة في نطق النون، وهي أشهر من كونها صفة معيبة، لكننا نعرض هنا بوصفها الثاني(١٨٥).

وعلى الرغم من هذه السعة في التوجيهات، يمكننا التفريق بينهما وفقاً لأمرين:

- مخالفة الصامت الغُنّي لصوت معين.
- هيئة نطقه.

وقبل تنفيذ هذين الأمرين نعرض رأي د. مصطفى فهمي، إذ فرق بين نوعين من النطق الأنفي المعيب[١٨٦]. وصف الأول؛ بأن المصاب يجد في نطقه للأصوات (ماعدا م، ن) صعوبة فينطقها مشوهة بإكسابها نوعاً من الغُنّة أو الخنّة، أما الثاني فوصفه بأنه نطق الأصوات (ماعدا م، ن) بشكل أخف من السابق ذكره بدرجة لا تثير الانتباه أو تبعث على السخرية أو الضحك[١٨٧]. وهو تفريق حصيف، اعتمدت عليه لبيان وجه الخلاف بين العيبين – بغضّ النظر عن جزئياته –؛ فالنوع الأول يكون مشوهاً ومعيباً لدرجة يثير الاستهزاء وهو ما يعرف بـ(العامية) بـ(المخنون)؛ إذ تكون فيه الأصوات ممزوجة بالغنة وبشيء من رائحة الخاء فتكون أصواته:

[(الصوت المراد نطقه) + شيء من الغنة + شيء من الخاء = خنن / الخنّة].

وقد تنبه القرطبي إلى ذلك بنص جاء فيه: «... الخنخنة أن يتكلم بالخاء من لدن أنفه»[١٨٨].

أما النوع الثاني فلا يكاد يحسّ عيبه، ويكون أخفّ من الأول؛ إذ لا يثير سخرية، وهو نطق تكون فيه الأصوات مشربة جزئياً بالغنة وقد لا يكون عند بعض الناطقين عيباً لقلّة عيبه ووضوحه للسامع.

ومما مرّ ذكره يمكن تحديد المصطلحين بالآتي:

- الغنن/الغنة[١٨٩] عيب نطقي يلحق الأصوات قاطبة (ما عدا الميم والنون) بإكسابها شيئاً من الصوت الأنفي الذي لا يكاد يتضح للسامع، توضحه المعادلة التالية:
  الصوت المراد نطقه + شيء قليل من الغنة = غنن.
- الخنن/الخنّة: عيب نطقي يلحق الأصوات قاطبة (ما عدا الميم والنون)، أشد من سالفه في اكتساب الغنّة، لدرجة تثير سخرية السامع بتشويهه، ويكون الصوت المعيب نطقاً من لدن الناطق ممزوجاً بشيء من صوت الخاء، توضحه المعادلة التالية:
  الصوت المراد نطقه + شيء من الغنة + شيء من صوت الخاء = خنن.

٨ – الرتة:

من العيوب التي تنسب إلى التردّد في النطق، وهي ضرب من ضروب التتعتع لكنه لا يخصّ حرفاً بذاته بل يأتي عاماً، ويكون موضع التردّد في النطق ظاهراً في الحنك الأسفل من جهازه النطقي.

ذكرها الجاحظ والمبرد وأبو طاهر البغدادي[١٩٠]، وعرفها الثاني بأنها: «تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل»[١٩١].

٩ – الرطانة:

ضرب من ضروب اللكنة، وقيّدها أبو هلال العسكري بالكلام السوقي دون الأعجمي[١٩٢].

١٠ – الطمطمة:

عيب نطقي يسبب لصاحبه عدم وضوح في كلامه للمستمعين وكأنه ليس من جنس العربية[١٩٣].

١١ – العجز:

«هو عدم القدرة على البيان المطلوب، لقصور ما في جهاز النطق أو قدرات العقل، وقد يطلق على القصور فقط.

وأكثر ما يتجلى في مظهرين أساسيين:

أ – التشوهات المختلفة التي تصيب النطق والأداء الصوتي للكلام مثل تكرر بعض الحروف، أو خروجها من غير مخارجها، أو بطء الكلام وتقطعه، أو سرعته أكثر من اللازم مما يجعل المسموع من كلام الشخص غير مبين بالنحو المعتاد.

ب – قلة الكلام التي يكون صاحبها (بكيء اللسان، غير موصوف بالبيان) وهي القلة التي تكون (من عجز في الخلقة)»[١٩٤].

وغالباً ما يأتي هذا العيب معطوفاً على عيب آخر سمّاه البلاغيون بـ(العيّ)[١٩٥].

١٢ – العجمة:

تضادُّ هذه الكلمة في المعجم العربي الإبانة[١٩٦]، وقد ورد هذا المصطلح عند الجاحظ بمعنى لا يبتعد عن المعنى المعجمي، إذ نصّ على ذلك في موضعين: «ولقد كان بين زيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة، وبينه يوم مات بون بعيد. على أنه قد كان وضع منزله في آخر الفصاحة وأول موضع العجمة، وكان لا ينفكّ من رواة ومذاكرين»[١٩٧].

وكذلك ورد في قوله: «ولا بد من أن نذكر فيه شأن إسماعيل – صلى الله عليه وسلم –، وانقلاب لغته بعد أربع عشرة سنة... وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية على غير تلقين ولا ترتيب، وحتى لم تدخله عُجمة ولا لكنة ولا حُبسة ولا تعلق بلسانه شيء من تلك العادة»[١٩٨].

وزاد الجاحظ على المعنى الوارد في هذين النصين قيداً آخر في كتاب (الحيوان) وهو: «ثقل يرافق ذلك الضعف ويقوّيه»[١٩٩].

١٣ – العقدة:

«هي في البلاغة آفة من آفات النطق، بحيث تجعل مخارج الكلمات أمراً عسيراً، فيصير بها الكلام مبهماً، لا يفصح عن حاجة ولا يشير إلى معنى...»[٢٠٠].

وقد أشار إليه البلاغيون ضمن العيوب التي تسبب في تعذر اللفظ وثقل النطق[٢٠١].

١٤ – العقلة:

تحدث البلاغيون واللغويون عن هذا العيب وعرّفه المحدثون بأنّه: «من آفات النطق اللغوي، وهي اضطراب النطق عامة من غير تخصصه بسبب معين، وهي أقرب شيء إلى العقدة منها إلى عيب آخر، وهي التواء اللسان عند إرادة الكلام، كما صورها الشاعر:

وقد تعتريه عقلة في لسانه   إذا هزّ فصل السيف غير قريب[٢٠٢]

وأشار إليه بعض البلاغيين وخصّصوه بالتواء اللسان عند الكلام[٢٠٣].

١٥ - العيّ:

من العيوب التي ذكرها البلاغيون وأشاروا إلى إضرارها بالفصاحة والبلاغة، ولبيان أهميتها عقد لها الجاحظ باباً في كتابه (البيان والتبيين)[٢٠٤]، ووصفها بأنها عمى لأن: «البيان بصر والعي عمى، كما أن العلم بصر والجهل عمى، والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل»[٢٠٥].

وهو بطء في النطق أو في سبك الكلام، ودرجها البلاغيون ضمن قائمة العيوب وفي ذلك يقول الجاحظ: «والناس لا يعيرون الخرس، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز، وهم يذمون الحصر، ويؤنبون العي... وليس اللجلاج والتمتام والألثغ والفأفاء، وذو الحُبسة والحُكلة والرتة، وذو اللفف والعجلة، وفي سبيل الحصر في خطبته، والعيِّ في مناضلة خصومه»[٢٠٦].

١٦ - الغمغمة:

سرعة في الكلام حتى لا تستطيع تمييز مقاطعه، فيسبب ذلك ارتباكاً في الاستقبال وتعمية في الفهم[٢٠٧].

وقد عدّها أصحاب (المعجم المفصل) عادة لهجية بوصفها عيباً يتحدد بـ«عدم الإفصاح عن معنى ظاهر، وهي لهجة قضاعة، أو غالباً ما يكون كلامهم محاطاً بنوع من الإبهام»[٢٠٨].

١٧ - الفأفأة:

ضرب من ضروب التردد في نطق الأصوات، وهو خاص بصوت الفاء، ونقل الجاحظ حدّه عن الأصمعي بنصّ جاء فيه: «إذا تتعتع اللسان في الفاء فهو فأفاء»[٢٠٩]، وعرفه أبو طاهر البغدادي بأنه: «التردد في الفاء»[٢١٠].

١٨ - اللثغة:

«...أحد أمراض الكلام، ويتميز بإخفاق المصاب في لفظ حرف أو أكثر بصوته الصحيح المعروف مما يؤدي إلى تشويه في نطق الكلمة أو الجملة، أو هو تحويل الحرف إلى غيره، كأن ينطق (اللام) غيناً أو (السين) شيناً أو (الصاد) تاء أو (السين)

فاء...الخ وعادة ما يكون هذا التغيير في اللفظ بسيطاً لا يؤثّر [في] فهمنا للكلمة والجملة، إلّا إذا كان المرض شديداً واللثغة قوية وشاملة لبضعة حروف»(٢١١).

وكثر الكلام فيها وتعدّدت أوجه القول في عدد أصواتها، وتابعت المسألة تنازلياً من جهة العدد، وبيانها بالآتي:

جعلها انستاس الكرملي مصطلحاً عاماً يضمّ كلّ العيوب الكلامية بنوعيها (النطقية واللهجية)(٢١٢)، أما الكندي وابن البناء فعدّا أصواتها عشرة اتفقا في سبعة منها هي: «ع، س، ش، ك، ص، ح، ر»، واختلفا في الثلاثة الباقية، إذ كانت عند الكندي (ج، ق، ز) وعند ابن البناء (غ، ي، ل)(٢١٣).

وذكر مصطفى صادق الرافعي عن بعض القدامى أنها تدخل في ستة أصوات هي: (س، ق، ك، ل، ر، وقد تكون في الشين»(٢١٤).

وعدّ الجاحظ أصواتها أربعة هي: (ق، س، ل، ر)(٢١٥)، والنويري (ت ٧٣٢هـ) الذي خصها بـ (أن تصير الراء لاماً)(٢١٦)، أما السيوطي (ت ٩١١هـ) فقصرها على جعل (الراء تاء)(٢١٧).

وقصرها معظم الأطباء المسلمين القدماء على الأطفال، وعدوها مرحلة من مراحل (مرض الأرتّ) الذي يسببه عظم اللسان المسهم في إرسال الأصوات بنحو غير جيد(٢١٨).

أما المحدثون، فتباينت مواقفهم، إذ قصرها د. عبد المجيد سيد أحمد منصور على الراء والسين(٢١٩)، على حين عدّت د. نبيلة غبرة هذين الصوتين من أكثر الأصوات موطناً للثغة(٢٢٠). أما أحمد تيمور فاكتفى بذكرها (مصطلحاً) من دون أن يحدد ماهيتها أو أصواتها واقتصر في ذلك على حالة القارئ على كتب الأقدمين(٢٢١).

وعلى الرغم من هذه السعة في الحديث كان للبلاغيين نصيب منه، فالجاحظ حدّدها بأصوات معينة ذكرناها قبل أسطر، في حين أطلق المبرد العدّة(٢٢٢).

وفي حقيقة الأمر أن اللثغة لثغتان:

- عيب: إذا كانت ناتجة في النطق عن عيب مرضي أو خلل في أعضاء الجهاز النطقي.

- عادة: إذا كانت ناتجة في النطق عن طبيعة المجتمع في تواصلها الكلامي كما عند الفرنسيين.

١٩ - اللجلجة:

«عيب كلامي شائع بين الأطفال والكبار وأسبابها معقدة ومتشعبة النواحي، وتحتاج إلى ألوان مختلفة من العلاج، وقد أفرد لها د. مصطفى فهمي فصولاً ثلاثة في كتابه (أمراض الكلام)»[(٢٢٣)].

«واللجلاج: الذي يحول لسانه في شدقه»[(٢٢٤)]؛ مما يسبب «إدخال بعض الكلام في بعض»[(٢٢٥)].

وقد ذكر هذا العيب (العسكري) و(البغدادي) من دون أن يضعا له تعريفاً[(٢٢٦)].

٢٠ - اللحن:

حمل البلاغيون هذا المصطلح على عيوب النطق لتأثيره في تشويه عملية التصويت.

وقد استقبحه البلاغيون لدرجة وصفه الجاحظ بأن: «اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه»[(٢٢٧)].

«ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلّا مع إعرابها ومخارج ألفاظها فإنك إن غيرتها بلا لحن في إعرابها وأخرجتها كلام المولدين والبلديين خرجت مع تلك الحكاية وعليك فضل كبير...»[(٢٢٨)].

إذ نلاحظ من خلال النص السابق، أن الجاحظ ربط بين (اللحن) وسوء النطق؛ إعراباً وتصويتاً، مما يؤكد علاقته بالأصوات.

٢١ - اللفف - اللفلفة:

ضرب من ضروب ثقل الكلام بسبب عيب في الجهاز النطقي، ويسبب هذا الثقل تداخلاً في أصوات البنية مما يبهم معانيها.

وقد حدّ المبرد اللفف بأنه (إدخال حرف في حرف)[٢٢٩]، وأكّد أبو طاهر البغدادي ثقل هذا العيب بتعريفه اللفلفة بأنها: «عدم إخراج (الكلام إلّا بشقّ الأنفس)»[٢٣٠].

٢٢ – اللكنة:

نطق لغة بروح لغة أخرى، وتكثر عند الأعاجم الذين ينطقون العربية، بحيث تحدث بعض التشوهات في نطقهم لأصوات العربية، فتؤثر في توصيل الكلام بنحو صحيح إلى أذن السامع.

وعرّفها الجاحظ بنصّ جاء فيه: «يقال في لسانة لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول»[٢٣١].

ولم يختلف المبرّد في تعريفه عن تعريف الجاحظ، فاللكنة عنده «أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية»[٢٣٢].

٢٣ – المجمجة:

من العيوب التي ذكرها (العسكري) وقرنها بـ(الأعجمي) ولم يبيّن ماهيتها[٢٣٣].

٢٤ – النحنحة:

من العيوب النطقية التي ذكرها العسكري في (الصناعتين) ولم يبيّن مرادها[٢٣٤].

وقد فتحت هذه المصطلحات الباب أمام حقول معرفية جديدة في علوم العربية؛ كحقل «اللحن الجلي واللحن الخفي» عند علماء التجويد والقراءات.

وإشارةً للرابط المتين بين هذا الحقل الجديد وأساسه عند البلاغيين، عقد عالم التجويد (عبد الوهاب القرطبي) موازنة بين (اللحن الجلي واللحن الخفي) ومباحث الفصاحة والبلاغة عند البلاغيين بنصّ جاء فيه: «اعلم أن المقصود من ذلك هو تحصيل التي هي أقوم للبلاغة وعديلتها، فإن العلماء وإن اختلفوا في حقيقة الفصاحة والبلاغة هل هما مختلفتان أو متفقتان؟ فإن القول الذي اعتمد عليه جلّتهُم أن

البلاغة تقال فيما يرجع إلى اختيار الألفاظ، والفصاحة تقال فيما يرجع إلى اختيار النطق بالألفاظ، وإنْ وضعت إحداهما موضع الأخرى فعلى طريق المجاز، فهما متراسلتان نفياً وإثباتاً وعماداً، فكما أن البلاغة ليست إفهام المعنى؛ لأن المعنى قد يفهمه متكلمان أحدهما بليغ والآخر عَيِيّ وهو غثّ مستكره ونافر متكلّف، وإنما هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فكذلك الفصاحة أيضاً ليست إليه الألسنة المدخولة مما يخالف عُرف العرب ووضعها، وإنما الفصاحة إيصال اللفظ إلى السّمع في أحسن صورة من النطق.

وكما أنّ البلاغة أيضاً عمادها الإيجاز والتشبيه والمبالغة والتلاؤم والتجانس وحسن البيان وغير ذلك مما هو مستوعب في الكتب المفردة له، كذلك الفصاحة أيضاً عمادها معرفة مخارج الحروف من مواضعها وأحوازها تأتي عن النطق بها على كمال اللفظ، وأن يستعمل إظهاره من غير تشديد، وأن تقطّع الحروف بعضها من بعض بحسن التخلص، ويخرج الهمزة بلا لكز ولا دفع إخراجاً حسناً وسطاً، ويشدّد المضاعف من غير تعد ولا إسراف ولا تليين، وأن يفخّم ما يجب تفخيمه من غير مبالغة....»(٢٣٥).

وما يؤكد تلك الآصرة أيضاً، ورود قسمي اللحن عند المجودين وعلماء القراءات في كتب البلاغيين، ولاسيما عن ابن سنان وابن الأثير وغيرهما، وإن كان ذلك الورود على سبيل الإفراد لا الجمع بينهما(٢٣٦).

الخاتمة

تأسيساً على ما مرّ ذكره، نجد أنّ علماء البلاغة لم يجعلوا من التفكير الصوتي أوّلية يستندون إليها في تعليل بعض الأحكام واستنباط بعض القواعد فقط، بل جعلوا منه أساساً لفهم حدود الفصاحة والبلاغة، ومنطلقها للميز بين ضروب البلاغة وأصحابها.

إذن، يؤكد هذا المبحث مدى الآصرة الرابطة بين مباحث الأصوات ومباحث علم البلاغة من جهة أخرى، لتوقف الثاني على ضرورة فهم الأول واستيعابه جيداً، وهي من المباحث التي أهملها المحدثون ولم يتعرضوا لها في دراساتهم، حتى المجدّدون منهم إلّا من ذكرنا في مستهل القسم الأول من هذه الدراسة.

ومن خلال ما مرّ ذكره يمكننا إجمال أهمية المقدمة الصوتية وأثرها في دراسة أصول البلاغة بالآتي[٢٣٧]:

١ – معرفة النطق الصحيح والوصف الدقيق للأصوات، للتمييز بين النطق السليم والنطق المعيب، وبهما يمكن الميز بين ما أسماه الجرجاني (سلامة الحروف) وعدمها. وهو أساس النطق السليم.

٢ – أنّ التأكد من (سلامة الحروف) يوصل إلى التأكد من سلامة الجهاز النطقي وطريقة أداء الأصوات، وتلك السلامة تحدّد سلامة آلة البلاغة الأساسية، وهي صحة النطق، ومع وجود العيوب فيه تنقسم البلاغة فيه قسمين؛ البلاغة التامة الجامعة والبلاغة الناقصة.

٣ – أن الشرطين السابقين يساعدان على تحديد الفصاحة في الكلام؛ إفراداً وتركيباً، لذلك وضع البلاغيون شروطاً لتحديد ذلك، ومعظمه معتمد على سلامة النطق وصفة الأصوات ومخارجها.

٤ – أنّ التحقق من الشرط الثالث يسهم في التأليف السليم الخالي من التنافر، وهو ما لا يمكن التحقق منه إلّا بمعرفة مخرج الصوت وصفته وموازنته بمخرج الصوت المتسق معه في التأليف وصفته. وكذلك بالنسبة للتحقق من سلامة التراكيب فإنها تعتمد على سلامة الألفاظ المؤلّفة لها من جهة تنافر أصواتها وتآلفها.

الهوامش

١ – **العطية**، د. خليل إبراهيم: في **البحث الصوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظ، بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة (١٢٤)، ط، ١٩٨٣م: ٤ – ٥، وأشار د. كمال بشر إلى أهمية هذه الأولية في دراسة العربية لكنه أهمل إسهامها في الدرس البلاغي: ينظر؛ **علم اللغة العام، الأصوات** د. دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٦م: ١٧٠ و١٧٣ – ١٩٨.

٢ – ابن خفاجة، **سر الفصاحة** دار الكتب العلمية، بيروت، د١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٨٢م، ٩٣.

٣ – ابن خفاجة، **سر الفصاحة** ١٥ – ٥٨، والرازي: **نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز**، تحقيق: د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م: ١١٣ – ١٢٦ والبغدادي، أبو طاهر **قانون البلاغة في نقد النثر والشعر**، تحقيق: د. محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م: ٧٥ – ٧٨ والبحراني، ميثم: **أصول البلاغة**: تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م: ٣٧ – ٤٤ وحاشية الدسوقي **ضمن شروح التلخيص**: ٨٠ – ٨٢.

٤ – العطية، د.خليل إبراهيم، **الفكر الصوتي عند ابن دريد**، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع١٦، ١٩٨٠م: ١٨١ وما بعدها، و عمر، د.أحمد مختار، **الدراسات الأصواتية بين الهنود والعرب**، مجلة كلية التربية، الجامعة الليبية، ع٢، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ٦٦ وما بعدها، ومدكور د.عاطف: **علم اللغة بين التراث والمعاصرة**: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، د. ت: في حديثه عن علم الأصوات.

٥ – **قانون البلاغة**، ٧٥.

٦ – كللر جوناثان، فرديناند دو سوسير، **تأصيل علم اللغة الحديث وعلم**

العلامات، ترجمة وتقديم: محمود حمدي عبد الغني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٠م: ٣٦ – ٤٣ وإيفيتش، ميلكا، **اتجاهات البحث اللساني**، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م: ١٩٣ وما بعدها.

٧ – **قانون البلاغة**، ٧٥.

٨ – **سر الفصاحة**، ١٦ – ١٧.

٩ – العمري، د.محمد، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، أفريقيا الشرق، بيروت، ط١، ١٩٩٩م: ٣١٢.

١٠ – **سر الفصاحة**، ١٦ و١٧ و١٨ و٤٦ وما بعدها.

١١ – دينس وبنشن، **المنظومة الكلامية: دراسة في فيزياء وبيولوجيا اللغات الشفهية**، ترجمة: د.محيي الدين حميدي، معهد الإنماء القومي، د١، ١٩٩١م: ٦٢ – ٧٤ وقدور، د.أحمد محمد، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ٤٧.

١٢ – خلف د.عادل، **أصوات اللغة العربية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م: ٦.

١٣ – **سر الفصاحة**، ٢٢، ولا يخفى تأثر ابن سنان هنا بأقوال ابن جني الذي أثر في الدرس البلاغي بوجوه عدة، تنظر النصوص المقاربة في، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م: ١/٦.

١٤ – ذهب محققا كتاب التبيان في البيان في تعليقهم على نص الطيبي: «ما يكون تركيبها من الحروف اللذيذة العذبة لأنها أصوات لها مخارج تشبه المزامير ولكل ثقبة منها صوت يخصّها»: تحقيق: د.توفيق الفيل وعبداللطيف لطف اللّه، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٦م، ص٣٩٥، إلى أنه أول من علل بهذا الوضوح، وفي حقيقة الأمر أن هذا الوصف أولاً

للغويين أصلاً كـ (ابن جني)، وكذلك اعتمد عليه قبل الطيبي (ابن سنان)، لذلك فهو ليس صاحب الريادة ولا القدم في الوضع أو الاستعانة.

١٥ - **سر الفصاحة**، ٢٣.

١٦ - المرجع السابق، ٢١ - ٢٢.

١٧ - أيوب، د.عبد الرحمن، **الكلام إنتاجه وتحليله**، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٤م، ٣٩ - ٤٠، عمر، د.أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**: ٩٦.

١٨ - البيه، د.وفاء محمد، **أطلس أصوات اللغة العربية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مصر/ط١/ ١٩٩٤م، ١٦٣ - ١٦٤.

١٩ - **سر الفصاحة**، ٢٠.

٢٠ - المرجع السابق، ٢٢.

٢١ - **سر صناعة الإعراب**، ١/ ٦ وابن سينا، **أسباب حدوث الحروف**، تحقيق: د.محمد حسان الطيان ود. يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٩٨٣م: ٦ وابن يعيش، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، د. ط، د.ت.: ١٠/ ١٢٤.

٢٢ - **سر الفصاحة**، ٤٦ - ٤٧.

٢٣ - كريم، د. حسام الدين [بالاشتراك]، **معجم اللسانيات الحديث**، مقدمة المعجم: مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، وأشار د.غانم قدوري الحمد إلى هذه الحقيقة وذكر تاليه وهو من علماء التجويد واسمه (ابن وثيق الأندلسي (ت ٦٥٤هـ)، وأعقبه كثيرون بعده، ينظر: **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، إحياء التراث الإسلامي، سلسلة الكتب الحديثة، مطبعة الخلود، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ١٠٨ وما بعدها.

٢٤ - السكاكي، **مفتاح العلوم ضبطه شرحه**، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٣.

٢٥ – شاهين، د.عبد الصبور، **في علم اللغة العام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ص ١٠٦ **والأصوات اللغوية**، د.محمد علي الخولي، ٥٨ – ٦٥.

٢٦ – الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي: ١ / ٤٧ وغيرها. وقد توقف د حلمي عند هذه الفكرة في كتابه "**التفكير الصوتي عند الخليل**"، ينظر منه ٢٦ وما بعدها.

٢٧ – وينظر كذلك ترتيب الخليل وابن جني في **العين**، ١/٥٧ – ٥٨ **وسر صناعة الإعراب**، ١/٥٢ – ٥٣ لكننا اعتمدنا ترتيب سيبويه لأنه أكثر المتبوعين من دارسي العربية.

٢٨ – خلف، د. عادل، **أصوات اللغة العربية**، ص٣٩.

٢٩ – كمال، د. محمد بشر، **علم اللغة العام (الأصوات)**، ص٩٥.

٣٠ – **سر الفصاحة**، ٢٩ – ٣٠ و**نهاية الإيجاز**، ١١٨ – ١١٩ و**مفتاح العلوم**، ١٢ و**أصول البلاغة**، ٣٧ – ٣٨.

٣١ – **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي: المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ١/٥٨.

٣٢ – المبرد، **المقتضب**، تحقيق: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ط، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م ١: ٣٢٨ و٣٣٠ – ٣٣١.

٣٣ – **سر الفصاحة**، ٢٦ – ٢٧.

٣٤ – وهو ما سيوضّح في المبحث الثاني من هذا الفصل عند الحديث عن موضوع آلة البلاغة وبلاغة اللسان والقلم.

٣٥ – **الكتاب**، ٤/٤٣٣.

٣٦ – **سر الفصاحة**، ٢٩.

٣٧ – ينظر: كانتينو، جان: دروس في **علم أصوات العربية**، ترجمة: صالح القرمادي/ نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية،

التونسية، د. ط، ١٩٦٦م: ٣٢ وحسان، د.تمام، **مناهج البحث في اللغة**، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، د. ط/ ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م: ٧٢.

٣٨ - **مفتاح العلوم**، ١١.

٣٩ - **سر الفصاحة**، ٣٠.

٤٠ - الزجاجي: **الجمل في النحو**، تحقيق: د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار السلاسل، الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م: ٤٤٨ **وسر صناعة الأعراب**، ١/ ٦٠.

٤١ - **مفتاح العلوم**، ١١.

٤٢ - أنيس، د. إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٩٠م، ١٢٣ وما بعدها، والحمد، د. غانم قدوري: **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، ١٣٦ وما بعدها.

٤٣ - **سر الفصاحة**، ٣٠، وينظر: **حديث السابقين عليه**، **الكتاب**، ٤/ ٤٣٥ و**المقتضب**، ١/ ١٩٦ و**أسرار العربية**، تحقيق: محمد بهجة البيطار/ مطبعة الترقي، دمشق، د. ط، ١٩٥٧م، ٤٢٣.

٤٤ - **حاشية الدسوقي**، ١/ ٨٠.

٤٥ - **سر الفصاحة**، ٣١

٤٦ - **الطراز**، ١/ ٥٨.

٤٧ - المرجع السابق، ١/ ٥٨.

٤٨ - **أصول البلاغة**، ٣٩ - ٤٠ وينظر: **نهاية الإيجاز**، ١٢٠، و**التبيان في البيان**، ٣٩٥.

٤٩ - **الطراز**، ١/ ٥٨.

٥٠ - **سر الفصاحة**، ٣١ وينظر: **مفتاح العلوم**: ١٢.

٥١ - المرجع السابق، ٣١، المرجع السابق، ١٢.

٥٢ - المرجع السابق.

٥٣ – **الكتاب** ٤/٤٣٤، وابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، مطبعة محمد بمصر، د. ط، د. ت: ١/٢٠١ و٢/٢٦.

٥٤ – العلوي، ابن طباطبا، **عيار الشعر**، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ١٤ **شروح التلخيص**، ١/٨٠.

٥٥ – أكد البلاغيون مسألة حسن نغم الصوت ورنقه، وعلل ذلك ابن طباطبا العلوي من أنّ: (الأذن تتشوق للصوت الخفيض الساكن وتتأذى بالجهير الهائل)، **عيار الشعر**، ١٤.

٥٦ – **نقد الشعر**، ٨٦.

٥٧ – **قانون البلاغة**، ٢٨ و**أصول البلاغة**، ٤١.

٥٨ – **الطراز**، ١/٥٨.

٥٩ – المرجع السابق، ١/٥٨.

٦٠ – المرجع السابق، ١/٥٨، وأيّد الرازي هذا التوجه: ينظر: **نهاية الإيجاز**، ١٢٠ – ١٢١.

٦١ – **نهاية الإيجار**، ١٢١.

٦٢ – **أصول البلاغة**، ٤١.

٦٣ – **سر الفصاحة**، ٦٤ وابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١/١٨٠ – ١٨٣، و**شروح التلخيص**، ١/١٠١ – ١٠٢.

٦٤ – **المثل السائر**، ١/١٨١ – ١٨٢.

٦٥ – المرجع السابق، ١/١٨١ – ١٨٢.

٦٦ – **نقد الشعر**، ٨٦.

٦٧ – **نهاية الإيجاز**، ١٠٠ – ١٠١.

٦٨ – **الطراز**، ١/٥٨.

٦٩ – **المثل السائر**، ١/٨١.

٧٠ – علل د.عبد الواحد الشيخ ثقل البيت المعروف بالتنافر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

بأنه من وجود صوت لهوي وهو القاف، وهو ثقيل لأنه قريب إلى أصوات الحلق المستقبحة عند البلاغيين، وهو رأي فيه نظر؛ لأنّ البلاغيين لم يستقبحوا صوت القاف بل استحسنوه – وأشرنا إلى ذلك سلفاً – ، كما أنهم استقبحوا حروف الحلق لأنها قبيحة بذاتها شريطة أن تتكرر ويتألف اللفظ منها فقط. **التنافر الصوتي والظواهر السياقية:** مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ص٤٨.

٧١ – **سرّ الفصاحة**، ٦٤. وذهب الطيبي إلى استثقال أصوات الحلق حتى إن لم تكن لوحدها في بناء اللفظ المفرد، ينظر: **التبيان في البيان**، ٣٩٦.

٧٢ – **الطراز**، ١/٥٩.

٧٣ – **شروح التلخيص**، ١/ ١٠١ – ١٠٢.

٧٤ – **الطراز**، ١/ ٥٨.

٧٥ – **نهاية الإيجاز**، ١٠٠ – ١٠١.

٧٦ – **سر الفصاحة**، ٢٩.

٧٧ – المرجع السابق، ٢٩.

٧٨ – المرجع السابق، ٣١.

٧٩ – أنيس، د.إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ٤٩. ونجا، د.إبراهيم، **التجويد والأصوات**، ٩٦. والخفاجي، د.محمد علي رزق، **علم الفصاحة العربية**، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٢م، ٢١٢.

٨٠ – **الكتاب**، ٤/٤١٦ وما بعدها **والجمل في النحو**، ٤٠٩. وعبده،

د.داوود: **دراسات في علم أصوات اللغة العربية**، مؤسسة الصباح، الكويت، د. ط، د. ت: ٢٥١ وما بعدها.

٨١ – يريد سيبويه ومن تبعه.

٨٢ – السخاوي، علم الدين: **جمال القراءة وكمال الإقراء**، تحقيق: د علي حسين البواب، مطبعة المدني، ط١، ١٩٨٧م، ٢/ ٤٨٥.

٨٣ – جودة، عباس وهاشم عبد الله وعلي جميل عباس، **المماثلة في اللغتين العربية والإنكليزية (دراسة تقابلية)**، مجلة أدب الرافدين، ع١٦، تشرين الثاني، ١٩٨٦م: ٩٢ وما بعدها.

٨٤ – **الكتاب**، ٤/ ٤١٧ – ٤١٨.

٨٥ – الفراء، **معاني القرآن** تحقيق: عبد الفتاح شلبي: الهيئة المصرية العامة للكتاب العامة للكتاب، سلسلة تراثنا، د. ط، ١٩٧٢م، ٢/ ٣٥٤، وهو ما يعرف بالإدغام الكبير عند أبي عمرو بن العلاء، ينظر: ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ٥٠.

٨٦ – الفراء، **معاني القرآن**، ٢/ ٣٥٤.

٨٧ – **المقتضب**، ١/ ٣٤٤.

٨٨ – **الخصائص**، ٢/ ٢٢٧، وهو ما أيده الدرس الصّوتي الحديث؛ ينظر في ذلك: التواب، د.رمضان، **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي – الرياضي، د. ط، د. ت: ص٢٢. وشاهين، د.عبد الصبور، **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي** (أبو عمرو بن العلاء)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ٢٣٢ والنوري، د.محمد جواد، من **العوامل الصوتية في تشكيل البنية العربية**، ٧٥ – ٧٦.

٨٩ – **شروح التلخيص**، ٨٨ – ٨٩.

٩٠ – القزويني، **الإيضاح**، ٠٨.

٩١ – **المثل السّائر**، ١/ ٣٧.

٩٢ – العسكري، أبو هلال، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، تحقيق: د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ١٦٠.

٩٣ – السبكي، بهاء الدين: **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ضمن شروح التلخيص**، عيسى البابي الحلبي، د. ط، ١٩٣٧م، ١/٨٨.

٩٤ – عاقل، د.فاخر، **معجم علم النفس**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ٩٨.

٩٥ – جوتيو، جان، **مسائل فلسفة الفن المعاصر**، ترجمة: سامي الدروبي، دمشق، د. ط، ١٩٦٥م، ٧٩ وما بعدها.

٩٦ – **جمهورية أفلاطون**، ٩٥.

٩٧ – المرجع السابق، ١٠٥.

٩٨ – أبو نصير، الفارابي، **الموسيقى الكبير**، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، د.ت، ص ٥ وعدّ الغزالي هذه العلاقة سرّاً من الأسرار الإلهية، ينظر: **إحياء علوم الدين**: لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ط١، ١٩٧٢م، ٦/١٤٧ – ١٤٨.

٩٩ – الظاهري، ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، عالم الفكر، د. ط، ١٩٨٠م، ٢/١٨٠.

١٠٠ – زاكس، كورت، **تراث الموسيقى العالمية**، ترجمة: د. سمحة الخولي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٤م، ٤٥.

١٠١ – **إحياء علوم الدين**، ٦/١٤٧.

١٠٢ – أبو الطيب، د.ضياء الدين، **الموسيقى وعلم النفس**، مطبعة التضامن، بغداد، ط١، ١٩٧٠م، ٦٨ وما بعدها.

١٠٣ – القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١/٢٦. وإسماعيل، د.عز الدين: **التفسير النفسي للأدب**، دار المعارف،

مصر، سلسلة (علم النفس والحياة) إشراف د. لويس كامل مليكة، د. ط، ١٩٦٣م، ٧٧ – ٨٢.

١٠٤ – آمال المختار، **الموسيقى بين علم النفس وعلم اللغة**: ١٠٢ وما بعدها وحمودة، محمد عبد الوهاب، **اللغة العربية والموسيقى**، مجلة الثقافة، السنة الأولى، ع٢٠، ١٩٣٩م، ٤٠.

١٠٥ – **العمدة**: ١/ ٢٢٤ ووضّح ابن سنان تأثير الإيقاع في المتلقي؛ ينظر: **سر الفصاحة**، ٢٨٧، في حين وضّح شرّاح التلخيص أثره في النص، ينظر: **شروح التلخيص**، ١/٩١ – ٩٣.

١٠٦ – العقيلي، مجدي، **السماع عند العرب**، منشورات رابطة خريجي الدراسات العليا، ط١، د. ت: ٤/ ٥٧. وريتشاردز، **مبادئ النقد الأدبي**، ترجمة: محمد بدوي ولويس عوض، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، د. ط، ١٦١م: ١٨٨.

١٠٧ – **الطراز**، ١/ ٦٩ وينظر: **قانون البلاغة**: ٢٨ **وكتاب الصناعتين**، ١٥٦.

١٠٨ – **سر الفصاحة**، ١٠٨.

١٠٩ – **موسيقى الشعر**، ٢٦٣ وما بعدها.

١١٠ – التوحيدي، أبو حيان، **الهوامل والشوامل**، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لجنة التأليف وأحمد والترجمة والنشر، د. ط، ١٩٥١م، ٤٢ وينظر: التوحيدي، أبو حيان، **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، ١٩٣٩م، ١٣٨.

١١١ – **رسائل إخوان الصفا**، الرسالة الخامسة من القسم الرياضي: الرسالة الخامسة، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٥٧م: ٢٣٧، وسايرهم في ذلك حازم القرطاجني، حازم، ينظر: **منهاج البلغاء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م، ١٢١ – ١٢٢ و١٢٣.

١١٢ – **المثل السائر**: ١/١٩٧ – ١٩٨. والصفدي، صلاح الدين، **جنان الجناس**

(في علم البديع): تحقيق: سمير حسني حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٣١و ما بعدها.

١١٣ – **الوساطة**، ١٩ وينظر منه أيضاً، ٤١٢.

١١٤ – **عيار الشعر**، ١٥.

١١٥ – الجرجاني، القاضي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٤، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ١٩ وينظر: **كتاب الصناعتين**، ٤٨ – ٥٠.

١١٦ – مطلوب، د. أحمد: **عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ٢٠٧ – ٢٠٨.

١١٧ – مونان، جورج، **الأسلوبية**، ٧ – ٨. د.خليل، إبراهيم: **الأسلوبية ونظرية النصّ**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٨٦. و**الأسلوبية وتحليل الخطاب**، د. عياشي، منذر: مركز الإنماء الحضاري، ط١/٢٠٠٢م، ٩١ وما بعدها.

١١٨ – ستيتية، د. سمير، **روافد البلاغة**، بحث في أصول التفكير البلاغي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع٦، رجب ١٤٢٢هـ/ سبتمبر ٢٠٠١م، ٢٧٦.

١١٩ – خطابي، محمد، **لسانيات النصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، بيروت: ط١، ١٩٩٩م، ١٩.

١٢٠ – عبد المطلب، د. محمد، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، مكتبة لبنان – ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، سلسلة (أدبيات)، ط١، ١٩٩٥م، الفصل الأول من الكتاب.

١٢١ – **الديوان**، ١/١٢٩.

١٢٢ – البيت لأبي الفتح البستي، **ديوانه**، ٣٢٢ – ٣٢٣.

١٢٣ – **أسرار البلاغة**، ٨ وينظر: **دلائل الإعجاز**، ٤٠٢.

١٢٤ – **أسرار البلاغة**، ١٨.

١٢٥ – **سر الفصاحة**، ١٤٦ – ١٤٧ و**المثل السائر**، ١/ ١٦١ – ١٦٢، إذ ناقش الأول الحشو الذي يؤتى به لإقامة الوزن في الشعر والسجع وأثر ذلك في المعنى، في حين ناقش الثاني مواقع الكلمات في النصوص ولاسيما النثرية منها وأثرها في الوزن والمعنى.

١٢٦ – يرتبط هذا الموضوع بجرس الأصوات، وقد درسها د.ماهر مهدي هلال دراسة تفصيلية، لكنه لم يشر إلى البعد الإبلاغي للإيقاع عند البلاغيين: ينظر: **جرس الألفاظ في البحث البلاغي والنقدي عند العرب.**

١٢٧ – سنذكر مصطلحاته ومن تبعه من البلاغيين في المبحث الثاني من هذا الفصل، إن شاء الله تعالى.

١٢٨ – الخولي، د. محمد علي، **الأصوات اللغوية**، مكتبة الخريجي، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٢٣٤. **وقاموس أصوات اللغة العربية**، ١٦٨ – ١٦٩.

١٢٩ – **قانون البلاغة**، ٧٧.

١٣٠ – السعيدي، أبو الحسن علي، **كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي**، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمان، ط١/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م (ضمن: (رسالتان في تجويد القرآن)): ٢٧ وما بعدها، وابن البناء: **بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القرّاء**، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٣٦ وما بعدها.

١٣١ – **البيان والتبيين**، ١/ ١٣٦ و**قانون البلاغة**، ٣٣.

١٣٢ – **المثل السائر**، ١/ ٣٤.

١٣٣ – أنيس، د. إبراهيم، **الأصوات اللغوية**: ٢٣٦. ماريوباي، **لغات البشر**، ترجمة: صلاح العربي، الجامعة الأمريكية، القاهرة، د. ط، ١٩٧٠م، ٨٥ و**الأصوات اللغوية**، د.عبد القادر الجليل، ٢٦٥ – ٢٦٩.

١٣٤ – **محاضرات في الألسنية العامة**، ١٨٠ – ١٨١.

١٣٥ – **اللسان**، (قصد).

١٣٦ – قباوة، د. فخر الدين، **الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، سلسلة لغويات، ط١، ٢٠٠١م، ٩.

١٣٧ – **سر الفصاحة**، ٥٧ وينظر منه أيضاً: ٥١ – ٥٢ الخطيب القزويني **الإيضاح في علوم البلاغة**، راجعه وصححه وخرج آياته: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم بيروت، ط١، ١٠٤٨هـ/١٩٨٨م، ٧ و٨ و٩ و**عيار الشعر**، ١٤.

١٣٨ – **المثل السائر**، ١/١٩٧.

١٣٩ – **مدخل إلى الألسنية**، يوسف غازي، ٣٥و ٧٩.

١٤٠ – **مادة (أبان) اللسان**، وأكّد البلاغيون الارتباط بين الإبانة والبلاغة والفصاحة، ينظر: المصري، ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د. ط، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ٤٩٠.

١٤١ – ألف سلمة بن مسلم الصُّحاري كتاباً سماه بـ(**الإبانة في اللغة العربية**) تأكيداً لما قلناه، وأشار إلى ذلك في مقدّمة كتابه، ١/٦ – ٧.

١٤٢ – **مواد البيان**، ٥٠ وما بعدها.

١٤٣ – **البيان والتبيين**، ١/١٣٦.

١٤٤ – المرجع السابق، ١/٢٠٨.

١٤٥ – مكي، د. الطاهر أحمد، **دراسة في مصادر الأدب**، دار المعارف،(سلسلة المكتبة الأدبية)، ط١، ١٩٦٨م، ١٦٨ – ١٧١.

١٤٦ – **المثل السائر**، ١/١٥٥.

١٤٧ – **سر الفصاحة**، ٦٠ – ٦١.

١٤٨ – **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، ١٦٣.

١٤٩ – **البرهان في وجوه البيان**، ١/٧٣.

١٥٠ – **مدخل إلى الألسنية**، ٩٩.

١٥١ – فهمي، د. مصطفى، في علم النفس، أمراض الكلام، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د. ط، د. ت: ١٦٥.

١٥٢ – لم يتعرض المحدثون ممّن تناول الدرس البلاغي بالبحث لهذا المصطلح وأثره في تقعيد البلاغة العربية على الرغم من أهمية هذا الموضوع في الكشف عن الأصول، ومن متابعة الكتابات وجدت إشارتين؛ الأولى، للدكتور فضل حسن عباس كانت بعيدة عن مراد القدامى، أضف إلى ذلك أن حديثه عنها كان مختصراً بصفحتين ومشحونة بنصوص، كان معظمها بعيداً عن مفهوم هذا المصطلح. والثانية، للأستاذ الشاهد البوشيخي، وكانت مخصصة لمصطلحات الجاحظ في كتابه **البيان والتبيين**، ينظر: **البلاغة وفنونها وأفنانها**، ٣٧ – ٣٩ ومصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب **البيان والتبيين**، ١٠١ – ١٠٢.

١٥٣ – ألمح إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني بمصطلحه **سلامة الحروف** الذي تردّد في مواضع كثيرة من **دلائل الإعجاز**، ينظر منه: ٤٥٥ و٤٥٦ و٤٥٧.

١٥٤ – **ينظر**: الصحيفة في **البيان والتبيين**: ٩٢/١.

١٥٥ – **كتاب الصناعتين**، ٣٠.

١٥٦ – صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ٢٣٢/١.

١٥٧ – المرجع السابق، ٢٣٢/١.

١٥٨ – **البيان والتبيين**، ١٣٦/١.

١٥٩ – **قانون البلاغة**، ٢٨.

١٦٠ – **البيان والتبيين**، ٥٨/١.

١٦١ – المرجع السابق، ٣٢٥/١.

١٦٢ – **كتاب الصناعتين**، ١٦ – ١٧.

١٦٣ – **البيان والتبيين**، ١/ ١٤ – ١٥.

١٦٤ – **أصول البلاغة**، ٤١ – ٤٢ وينظر: **نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز**، ١٢٢.

١٦٥ – **البيان والتبيين**: ١/ ١٤ و٥٨ و١٦٢ وغير ذلك، والمبرد، **الكامل في اللغة والأدب**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، د. ت: ٢/ ٢٠٠ – ٢٢٦ الكاتب، ابن وهب: **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق: د.أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ٢١٥ **والعمدة**، ١/ ٢٤٧، وأمين، أحمد وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، **العقد الفريد**، ابن عبد ربه، تحقيق: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٥م، ٢/ ٤٧٦.

١٦٦ – أشرنا في القسم الأول إلى تنبه البغدادي لهذه القسمة.

١٦٧ – **قانون البلاغة**، ٧٨.

١٦٨ – **ديوانه**، ١٥٠.

١٦٩ – **الكامل**، ٢/ ٥.

١٧٠ – **أمراض الكلام**، ٢٠٩ – ٢١٠.

١٧١ – **البيان والتبيين**، ١/ ٣٧ – ٣٨.

١٧٢ – **البيان والتبيين**، ١/ ٣٧ – ٣٨ وينظر: **قانون البلاغة**، ٧٨، وفك، يوهان: العربية «**دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**»، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، د. ط، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١١٥.

١٧٣ – **البيان والتبيين**، ١/ ٣٩ وينظر: **قانون البلاغة**، ٧٨ **وكتاب الصناعتين**: ٥٤.

١٧٤ – **الكامل**: ٢/ ٢٢١ وينظر: **البرهان**، ٢١٥. ود. حجازي، محمود فهمي، **علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية**، وكالة المطبوعات، الكويت،١٩٧٣م، ٢٥٠.

١٧٥ – **البيان والتبيين**، ١/ ٤٠.

١٧٦ – المرجع السابق، ١/ ٣٢٥ وينظر: **قانون البلاغة**، ٧٨.

١٧٧ – **قانون البلاغة**، ٧٨.

١٧٨ – معن، د. مشتاق عباس، **النون في العربية: دراسة صوتية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٨م، بإشراف د.خديجة الحديثي، ٦١ – ٦٨.

١٧٩ – الأزهري، أبو منصور، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، د. ط، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٣/٧ – ٥ و**الإفصاح في فقه اللغة**، الدسوقي، ١/٢٣٢.

١٨٠ – الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م: ٦/ ٢١٧٤ و٢١٧٥. والخولي، محمد علي، **معجم علم اللغة النظري**، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ١٨٠.

١٨١ – ابن دريد، **معجم اللغة**، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ٢/ ٩٦٤ المرصفي، سيد بن علي، **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، مطبعة النهضة، مصر، ط١، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، ٥/٢٠٢.

١٨٢ – ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: مصطفى السقا، د. حسين نصّار، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ٤/ ٣٧٧، ورضا، أحمد: **متن اللغة**، منشورات دار مكتبة الحياة/د. ط/ ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ٢/٣٤٧ – ٣٤٨ و٤/٣٣٢ – ٣٣٣.

١٨٣ – الحلي، د. حازم، **الأصوات اللغوية عند المبرد**، مجلة أدب الرافدين، ع٢٣، ٨٤ – ٨٥. د. المنصور، وسمية، **عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة، الرسائل ٣٨/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ٣٨ – ٣٩.

١٨٤ – **علم اللغة النفسي**، ٢٧٩ و٢٨٧ و**الرافد**، ٤٣، وصالح عامر جبار، **اللسانيات المرضية: تأملات في النظرية مع التركيز على أساس تصنيف الاضطرابات اللغوية**، مجلة اللسان العربي، ع٣٨، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٥٨ و٥٩.

١٨٥ – معن، د. مشتاق عباس، **أنماط صفة الغُنّة وقيمتها التمييزية**، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل، مج٤، ع٤، ربيع الآخر – جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ/يوليو – سبتمبر ٢٠٠٢م، ١٣ وما بعدها.

١٨٦ – **اللسانيات المرضية**، ٥٨.

١٨٧ – **أمراض الكلام**، ١٨٦ – ١٨٧.

١٨٨ – القرطبي، عبد الوهاب، **الموضح في التجويد**، تحقيق: قدوري، د غانم: دار عمار، عمان، ٢٠٠٣م، ٢١٩.

١٨٩ – نرى أن مصطلح الغنّة خاص بالنطق الحسن فقط.

١٩٠ – **البيان والتبيين**، ١/٢٦ و**الكامل**، ٢/٥ و**قانون البلاغة**، ٧٨.

١٩١ – **الكامل**، ٢/٥.

١٩٢ – **كتاب الصناعتين**، ٢٠.

١٩٣ – **الكامل**، ٢/٥.

١٩٤ – **مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ**، ١٨٩ – ١٩٠ وينظر: **البيان والتبيين**، ١/١٢ و١٧ و٢٧.

١٩٥ – **البيان والتبيين**، ١/١٢ و**البرهان في وجوه البيان**، ٢١٥ و**العمدة**، ١/٢٤٧.

١٩٦ – الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١م، مادة عجم.

١٩٧ – **البيان والتبيين**، ١/١٦٣.

١٩٨ – المرجع السابق، ١/٣٨٣.

١٩٩ – الحيوان، ٢/٢١.

٢٠٠ – التونجي، د.محمد والأسمر، أ. راجي، **المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)**، ١/٤١٠.

٢٠١ – **البيان والتبيين**، ١/١٢ و٨٨.

٢٠٢ – **المعجم المفصل**، ١/٤١٠ وينظر: د.أحمد مطلوب، **البلاغة عند الجاحظ**، ٢٨.

٢٠٣ – **الكامل**، ٢/٥.

٢٠٤ – **البيان والتبيين**، ٢/٢٣٤ وما بعدها.

٢٠٥ – المرجع السابق، ١/٧٧.

٢٠٦ – **البيان والتبيين**، ١/١٢ وينظر: **أدب الكاتب**، ١١٥ و**الكامل**، ٢/٢٠٠ – ٢٢٦ و**البرهان في وجوه البيان**، ٢١٥.

٢٠٧ – **الكامل**، ٢/٥.

٢٠٨ – **المعجم المفصل في علوم اللغة**، ١/٤٣٩ وينظر: معن، د. مشتاق عباس، **دروس في فقه اللغة العربية**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م، ٦٠.

٢٠٩ – **البيان والتبيين**، ١/٣٧.

٢١٠ – **قانون البلاغة**، ٧٨.

٢١١ – الدباغ، د. فخري، **اللغة عند الكندي..... في ضوء العلم الحديث**، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢١، ج٣: شعبان، ١٤٠٠هـ/تموز ١٩٨٠م، ٨٧.

٢١٢ – الكرملي، إنستانس، **اللغات واللثغات**، مجلة المشرف، السنة السادسة، ع١٢، ١٩٠٣م، ٥٩١ وما بعدها.

٢١٣ – الكندي، **رسالة يعقوب الكندي في اللثغة**، تحقيق: د.محمد حسّان الطيان، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج٦٠، ج٣، شوال ١٤٠٥هـ/ تموز(يوليو) ١٩٨٥م، ٥٢٩. و**بيان العيوب**، ٤٨ – ٤٩.

٢١٤ – **تاريخ آداب اللغة**، ١/١٦٠.

٢١٥ – **البيان والتبيين**، ١/٣٤، ود.عاصي، ميشال ويعقوب، د. إميل، **مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ**، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م، ٦٧ – ٧٠.

٢١٦ – النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ٢/٦٩.

٢١٧ – **غاية الإحسان في خلق الإنسان،** ٢٢٧ – ٢٢٩.

٢١٨ – الرازي، **الحاوي في الطب،** تحقيق: السيد عبد الوهاب البخاري/، مطبعة مجلي المعارف العثمانية، حيد آباد، الدكن، ط١/١٤٧٣هـ/١٩٤٣م، ٣/ ٢٠٨. البغدادي، مهذب الدين **المختارات في الطب،** دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد – الدكن، ط١، ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م، ٣/ ١٧٠ وأشار ابن سينا إلى سبب عظم اللسان في الاضطراب النطقي للأصوات، ابن سينا، **القانون في الطب،** تحقيق: د.إدوار القش، مؤسسة عز الدين، د. ط، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ٢/١٠٦١.

٢١٩ – **علم اللغة النفسي،** ٢٨٧.

٢٢٠ – غبرة، د. نبيلة، **اضطرابات الكلام عند الطفل،** مجلة الفيصل، السنة السابعة: ع٨، صفر ١٤٠٤هـ/١٩٨٣، ١١٧.

٢٢١ – باشا، أحمد تيمور، **عيوب المنطق ومحاسنه من ثمار ما قرأت،** دار مصر، د. ط/د: ١٤٨ و٢٠٢.

٢٢٢ – **البيان والتبيين،** ١/ ٣٤ و**الكامل،** ٢/ ٥.

٢٢٣ – هريدي، د. أحمد عبد المجيد، **الألعاب الكلامية اللسانية، دراسة صوتية تركيبية**: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٣.٧ وينظر: **أمراض الكلام،** ٢٧ – ١٦٤.

٢٢٤ – ابن سيده، **المخصص،** المطبعة الأميرية، ١٣١٦هـ، ٢/١٢٢.

٢٢٥ – **المعجم المفصل في علوم اللغة،** ١/٤٩٧.

٢٢٦ – كتاب **الصناعتين،** ٥٤ و**قانون البلاغة،** ٧٨.

٢٢٧ – **البيان والتبيين،** ٢/٢١٦.

٢٢٨ – المرجع السابق، ١/١٤٥ وينظر: **كتاب البخلاء،** ٤٠.

٢٢٩ – **الكامل،** ٢/ ٥.

٢٣٠ – **قانون البلاغة،** ٧٨.

٢٣١ – **البيان والتبيين**، ١/٤٨.

٢٣٢ – **الكامل**، ٢/٥ وينظر: **كتاب الصناعتين**، ٢٠.

٢٣٣ – **كتاب الصناعتين**، ٢٠.

٢٣٤ – المرجع السابق، ٥٤.

٢٣٥ – الموضح في التجويد، (فصل في بيان المراد بالتنبيه على اللحن الخفي والمقصود بالحض على اجتناب الألفاظ المستهجنة)، ٦٦.

٢٣٦ – **سر الفصاحة**، ١٠٧ و**المثل السائر**، ١/٣٤ و**مواد البيان**، ١٠٢.

٢٣٧ – أشار د.فتحي فريد إلى أهمية المقدمة الصوتية بقوله، «وإذ بينّا في ذلك مقدار العلاقة بين البلاغة والأصوات فإنّا ندعو إلى أن يكون الكلام عن الحروف من مطلع دروس البلاغة أشبه بالفلسفة الصوتية التي تكشف عن كبير تعلقها بأسرار التراكيب، وقد فعل ذلك (ابن سنان) إذ وقف طويلاً عند الحروف ليوضح ما يتعلق بها، وقد أطال بعض الشيء في ذلك لكنه كان مصيباً شاكلة الصواب، حيث أعطى لهذا العنصر [المهم] من عناصر الأسلوب حقه في الدراسة والبحث» المدخل إلى دراسة البلاغة: ٤٣. ونلاحظ من خلال ما ذكر أنه لم يوضّح الأهمية المنشودة في تلك المقدمة، كما اقتصر في إشارته إلى ابن سنان على الرغم من أن تلك الأهمية ناقشها البلاغيون جميعاً، إلّا من ندر طبعه.

المصادر والمراجع

١ - آل ناصر الدين، أمين، **الرافد**، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٢ - ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣ - ابن البناء، **بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القرّاء**، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٤ - ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، مطبعة محمد بمصر، د. ط، د. ت.

٥ - ابن جعفر، قدامة، **نقد الشعر**، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.

٦ - ابن جني.

- **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
- **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧ - ابن دريد، **معجم اللغة**، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت.

٨ - ابن سيده.

- **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: مصطفى السقا، د. حسين نصّار، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
- **المخصص**، المطبعة الأميرية، ١٣١٦هـ.

٩ - ابن سينا.

- **أسباب حدوث الحروف**، تحقيق: د. محمد حسان الطيان ود. يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٩٨٣م.

– **القانون في الطب**، تحقيق: د. إدوار القش، مؤسسة عزالدين، د. ط، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٠ – ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٣، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م.

١١ – ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، ط٣، ١٩٩٣م.

١٢ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

١٣ – أبو تمام، **الديوان**، تحقيق: د. محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر.

١٤ – أبو الطيب، ضياء الدين، **الموسيقى وعلم النفس**، مطبعة التضامن، بغداد، ط١، ١٩٧٠م.

١٥ – أبو الفتح البستي، **الديوان**: بيروت، ١٢٩٤هـ.

١٦ – إخوان الصفا، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**، الرسالة الخامسة، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٥٧م.

١٧ – الأزهري، أبو منصور، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، د. ط، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٨ – إسماعيل، عزالدين، **التفسير النفسي للأدب**، دار المعارف، مصر، سلسلة (علم النفس والحياة)، إشراف د. لويس كامل مليكة، د. ط، ١٩٦٣م.

١٩ – الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١م.

٢٠ – أمين، أحمد وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، **العقد الفريد**، ابن عبد ربه، تحقيق: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٥م.

٢١ – الأنباري، **أسرار العربية**، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي، دمشق، د. ط، ١٩٥٧م.

٢٢ – أنيس، إبراهيم.

– **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصري، القاهرة، د. ط، ١٩٩٠م.

– **موسيقى الشعر**، مكتبة الأنجلو المصري، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م.

٢٣ – أيوب، عبدالرحمن، **الكلام: إنتاجه وتحليله**، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

٢٤ – باشا، أحمد تيمور، **عيوب المنطق ومحاسنه من ثمار ما قرأت**، دار مصر، د. ط، د. ت.

٢٥ – البحراني، كمال الدين ميثم، **أصول البلاغة**، تحقيق: د. عبدالقادر حسين، دار الشروق، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٦ – د. بشر، كمال محمد، **علم اللغة العام** (الأصوات)، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٦م.

٢٧ – البغدادي، أبو طاهر، **قانون البلاغة في نقد النثر والشعر**، تحقيق: د. محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٨ – البغدادي، مهذب الدين، **المختارات في الطب**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدن، ط١، ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م.

٢٩ – بيتر. ب. دينس ود. إليوت بنشن، **المنظومة الكلامية العربية، دراسة في فيزياء وبيولوجيا اللغات الشفهية**، ترجمة: د. محيي الدين حميدي، معهد الإنماء القومي، د١، ١٩٩١م.

٣٠ – البوشيخي، الشاهد، **مصطلحات نقدية بلاغية في كتاب البيان والتبيين**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣١ – البيه، وفاء محمد، **أطلس أصوات اللغة العربية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط١، ١٩٩٤م.

٣٢ – التوحيدي، أبو حيان:

– **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، ١٩٣٩م.

– **الهوامل والشوامل**، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لجنة التأليف وأحمد والترجمة والنشر، د. ط، ١٩٥١م.

٣٣ – التونجي، محمد/ الأسمر وراجي، **المعجم المفصل في علوم اللغة** (الألسنيات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٤ – الجاحظ:

– **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤ و١٩٦٥ و١٩٧٩م.

– **الحيوان**، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت د. ط، د. ت.

٣٥ – الجرجاني، عبدالقاهر:

– **أسرار البلاغة**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

– **دلائل الإعجاز**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، مكتبة سعدالدين، دمشق، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٦ – الجرجاني، القاضي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٤، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٣٧ – جوتيو، جان، **مسائل فلسفة الفن المعاصر**، ترجمة سامي الدروبي، دمشق، د. ط، ١٩٦٥م.

٣٨ – جودة، عباس وهاشم عبدالله وعلي جميل عباس، **المماثلة في اللغتين العربية والإنكليزية (دراسة تقابلية)**: مجلة أدب الرافدين، ع١٦، تشرين الثاني، ١٩٨٦م.

٣٩ – الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٤٠ – حجازي، محمود فهمي، **علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية**، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م.

٤١ – حسام الدين، كريم ود. سمير هاني ود. نجيب كريس: **معجم اللسانيات الحديث**، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٤٢ – حسّان، تمّام، **مناهج البحث في اللغة**، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، د. ط، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

٤٣ – الحلي، حازم، **الأصوات اللغوية عند المبرد**، مجلة أدب الرافدين، ع٢٣.

٤٤ – الحمد، غانم قدوري، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، إحياء التراث الإسلامي، سلسلة الكتب الحديثة، مطبعة الخلود، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٥ – حمودة، محمد عبدالوهاب، **اللغة العربية والموسيقى**، مجلة الثقافة، السنة الأولى، ع٢٠، ١٩٣٩م.

٤٦ – خطابي، محمد، **لسانيات النصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، بيروت: ط١، ١٩٩٩م.

٤٧ – الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، راجعه وصححه وخرّج آياته: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٠٤٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٨ – الخفاجي، ابن سنان، **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، بيروت، د١، ١٤٢٠هـ/١٩٨٢م.

٤٩ – الخفاجي، محمد علي رزق، **علم الفصاحة العربية**، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٢م.

٥٠ – خلف، عادل، **أصوات اللغة العربية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٥١ – خليل، إبراهيم، **الأسلوبية ونظرية النص**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٥٢ – خليل، حلمي، **التفكير الصوتي عند الخليل**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

٥٣ – الخولي، محمد علي:

– **الأصوات اللغوية**، مكتبة الخريجي، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

– **معجم علم اللغة النظري**، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٥٤ – الدباغ، فخري، **اللغة عند الكندي..... في ضوء العلم الحديث**، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢١، ج٣: شعبان، ١٤٠٠هـ/تموز ١٩٨٠م.

٥٥ – الدسوقي، **حاشية الدسوقي، ضمن شروح التلخيص**، دار البيان العربي، دار الهادي، بيروت، ط٤، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥٦ – دو سوسير، **دروس في الألسنية العامة**، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، د. ط، ١٩٨٥م.

٥٧ – الرازي:

– **الحاوي في الطب**، تحقيق: السيد عبدالوهاب البخاري، مطبعة مجلي المعارف العثمانية، حيد، آباد – الدن، ط١، ١٤٧٣هـ/١٩٤٣م.

– **نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز**، تحقيق: د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٥٨ – رضا، أحمد، **متن اللغة**، منشورات دار مكتبة الحياة، د. ط، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٥٩ – ريتشاردز، **مبادئ النقد الأدبي**، ترجمة محمد بدوي ولويس عوض، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، د. ط، ١٦١م.

٦٠ – زاكس، كورت، **تراث الموسيقى العالمية**، ترجمة د. سمحة الخولي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٤م.

٦١ – الزجاجي، **الجمل في النحو**، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار السلاسل – الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٢ – السبكي، بهاء الدين، **عروس الأفراح في شرح تخليص المفتاح، ضمن شروح التلخيص**، عيسى البابي الحلبي، د.ط، ١٩٣٧م.

٦٣ – ستيتية، سمير، **روافد البلاغة**، بحث في أصول التفكير البلاغي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع٦، رجب ١٤٢٢هـ/ سبتمبر ٢٠٠١م.

٦٤ – السخاوي، علم الدين، **جمال القراءة وكمال الإقراء**، تحقيق: د. علي حسين البواب، مطبعة المدني، ط١، ١٩٨٧م.

٦٥ – السعيدي، أبو الحسن علي، **كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي**، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ضمن: «رسالتان في تجويد القرآن».

٦٦ – السكاكي، أبو يعقوب يوسف، **مفتاح العلوم**، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٧ – سيبويه: **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٨ – شاهين، عبدالصبور:

– **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

– **في علم اللغة العام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦٩ – شلبي، عبدالفتاح، **معاني القرآن**، الفراء تحقيق: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تراثنا، د.ط، ١٩٧٢م.

٧٠ – الشيخ، عبدالواحد، **التنافر الصوتي والظواهر السياقية**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٧١ – صالح عامر جبار، **اللسانيات المرضية: تأملات في النظرية مع التركيز على أساس تصنيف الاضطرابات اللغوية**، مجلة اللسان العربي، ع٣٨، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٧٢ – الصعيدي، عبدالفتاح وحسين يوسف موسى، **الإيضاح في فقه اللغة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٧٣ – الصفدي، صلاح الدين، **جنان الجناس (في علم البديع)**، تحقيق: سمير حسني حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٧٤ – صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٧٥ – الطيب، شرف الدين، **التبيان في البيان**، تحقيق: د. توفيق الفيل وعبداللطيف لطف الله، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٦م.

٧٦ – الظاهري، ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، عالم الفكر، د. ط، ١٩٨٠م.

٧٧ – عاصي، ميشال ود. إميل يعقوب، **مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ**، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

٧٨ – عاقل، فاخر، **معجم علم النفس**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٧٩ – عباس، فضل حسن، **البلاغة وفنونها وأفنانها**، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٨٥م.

٨٠ – عبدالتواب رمضان، **التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي – الرياضي، د. ط، د.ت.

٨١ – عبدالمطلب، محمد، **قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني**، مكتبة لبنان

- ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، سلسلة (أدبيات)، ط١، ١٩٩٥م.

٨٢ – عبده، داوود، **دراسات في علم أصوات اللغة العربية**، مؤسسة الصباح، الكويت، د. ط، د. ت.

٨٣ – العسكري، أبو هلال، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨٤ – العطية خليل إبراهيم:

- **في البحث الصّوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظ، بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة (١٢٤)، ط، ١٩٨٣م.
- **الفكر الصوتي عند ابن دريد**، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع١٦، ١٩٨٠م.

٨٥ – العقيلي، مجدي، **السماع عند العرب**، منشورات رابطة خريجي الدراسات العليا، ط١، د. ت.

٨٦ – العلوي، ابن طباطبا، **عيار الشعر**، شرح وتحقيق: عباس عبدالساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٨٧ – العلوي، يحيى بن حمزة، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٨٨ – عمر، أحمد مختار:

- **الدراسات الأصواتية بين الهنود والعرب**، مجلة كلية التربية، الجامعة الليبية، ع٢، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٨٩ – العمري، محمود، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، أفريقيا الشرق، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٩٠ – عياشي، منذر، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ٢٠٠٢م.

٩١ – غازي، يوسف، **مدخل إلى الألسنية**، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

٩٢ – غبرة، نبيلة، **اضطرابات الكلام عند الطفل**، مجلة الفيصل، السنة السابعة: ع٨، صفر ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٩٣ – الغزالي، أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ط١، ١٩٧٢م.

٩٤ – الفارابي، أبو نصر، **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق: غطاس عبدالملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعةوالنشر، القاهرة، د. ط، د. ت.

٩٥ – الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، سلسلة المعاجم والفهارس (١٦)، ط١، ١٩٨٠م.

٩٦ – فك، يوهان، **العربية «دراسات في اللغة واللهجات والأساليب»**، ترجمة: د.رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، د.ط، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٩٧ – فهمي، مصطفى، **في علم النفس: أمراض الكلام**، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د. ط، د. ت.

٩٨ – قباوة، فخر الدين، **الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، سلسلة لغويات، ط١، ٢٠٠١م.

٩٩ – قدور، أحمد حمد، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٠٠ – القرطاجني، أبو الحسن، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.

١٠١ – القرطبي، عبدالوهاب، **الموضح في التجويد**، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد/ دار عمّار، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠٢ – القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٠٣ – الكاتب، ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٠٤ – الكاتب، علي بن خلف، **مواد البيان**، تحقيق: حسن عبداللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، د. ط، ١٩٨٢م.

١٠٥ – كانتينو، جان، **دروس في علم أصوات العربية**، ترجمة صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، التونسية، د. ط، ١٩٦٦م.

١٠٦ – الكرملي، إنستانس، **اللغات واللثغات**، مجلة المشرف، السنة السادسة، ع١٢، ١٩٠٣م.

١٠٧ – كللر، جوناثان، فرديناند دو سوسير، **تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات**، ترجمة وتقديم: محمود حمدي عبدالغني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٠م.

١٠٨ – الكندي، **رسالة يعقوب الكندي في اللثغة**، تحقيق د. محمد حسّان الطيان، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج٦٠، ج٣، شوال ١٤٠٥هـ/تموز (يوليو) ١٩٨٥م.

١٠٩ – ماريوباي، **لغات البشر**، ترجمة: صلاح العربي الجامعة الأمريكية، القاهرة، د. ط، ١٩٧٠م.

١١٠ – المبرد:

– **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، د. ت.

- **المقتضب**، تحقيق: عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

١١١ - المختار، آمال، **الموسيقى بين علم النفس وعلم اللغة**، مجلة عالم الفكر، مج٩، ٤٤، يناير، فبراير، مارس، ١٩٧٩م.

١١٢ - مدكور، عاطف، **علم اللغة بين التراث والمعاصرة**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، د. ت.

١١٣ - المرصفي، سيد بن علي، **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، مطبعة النهضة، مصر، ط١، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

١١٤ - مطلوب، أحمد:

- **البلاغة عند الجاحظ**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، سلسلة (دراسات ٣٤٢)، ط١، ١٩٨٣م.
- **عبدالقاهر الجرجاني: بلاغته ونقده**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١١٥ - المصري، ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د. ط، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

١١٦ - معن، مشتاق عباس:

- **أنماط صفة الغنّة وقيمتها التمييزية**، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل، مج٤، ع٤، ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ/يوليو - سبتمبر ٢٠٠٢م.
- **دروس في فقه اللغة العربية**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م.
- **المعجم المفصل في فقه اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- **النون في العربية: دراسة صوتية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٨م، بإشراف د. خديجة الحديثي.

١١٧ – مكي، الطاهر أحمد، **دراسة في مصادر الأدب**، دار المعارف، (سلسلة المكتبة الأدبية)، ط١، ١٩٦٨م.

١١٨ – منصور، عبدالمجيد سيد أحمد، **علم اللغة النفسي**، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١١٩ – المنصور، وسمية، **عيوب الكلام**: دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة، الرسائل ٣٨، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٠ – ميلكا، إيفيتش، **اتجاهات البحث اللساني**، ترجمة: سعد عبدالعزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م.

١٢١ – نجا، إبراهيم، **التجويد والأصوات**، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٧٢م.

١٢٢ – النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

١٢٣ – هريدي، أحمد عبدالمجيد، **الألعاب الكلامية اللسانية**، دراسة صوتية تركيبية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٢٤ – هلال، ماهر مهدي، **جرس الألفاظ في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، دار الرشيد، سلسلة دراسات (١٩٥)، د. ط، ١٩٨٠م.